جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مما رآه الجنان في جنتي الرحمن
نظرية وتطبيق على نحو النص
بين التليد والجديد

دكتور
علي نجار محمد حسن

العدد السادس عشر
للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٦٩٤٠/ ٢٠١٢م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين؛ حث عباده على القراءة والزيادة من العلم؛ فكانت أولَ كلمة نزلت من القرآن الكريم:" اقْرَأْ " وكان الدعاء الأوحد بالزيادة في القرآن المجيد هو طلب العلم؛ فقال ــ سبحانه ــ:" وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا " [طه:١١٤].

وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، " خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " .

وصلاة وسلاما دائمين متلازمين على خيرِ مَنْ نطق الضاد؛ سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ . وبعد ...

فالناظر في الدراسات اللغوية الحديثة من اللسانيات، ونحو النص، وتحليل الخطاب وغيرها؛ يجدها بعضُها يموج في بعض بسبب إشكالية المصطلحات وتداخلها، كما يجدها تركز على الجانب النظري،وتهمل ــ غالبا ــ الجانب التطبيقي على النصوص التراثية التي حُكِم بفصاحتها والاحتجاج بها على اللغة؛ لذلك قصدت إلى كتابة هذا البحث في إطار منهج واضح وأدوات محددة لعلم "نحو النص" مطبقا ذلك على نصٍّ قرآني معجزٍ؛ وهو آيات سورة " الرحمن " (٤٦ ــ ٧٨) التي وصفت الجنان التي جعلها الله الكريم ــ عزوجل ــ جزاءً لمن خاف مقامه العظيم، ووَسَمْتُه بـــ:(ممّا رآهُ الجَنان في جَنَّتي الرَّحمن(نظرية وتطبيق على نحو النص بين التليد والجديد). ومما دعاني إلى التطبيق على هذه الآيات بعينها انشغالٌ قلبيٌّ قديم يرجع إلى مراحل التعليم الأولى وحفظ كتاب الله الجليل؛ إذ كنت دائما أقف متأملا تلك المقارنة البديعة بين الجنات التي وصفها الله ــ عزوجل ــ في تلك السورة الجليلة، والمقارنة أداة بارزة من أدوات نحو النص.

وقد حاولت فيه الجمع بين ما وضعه علماء اللغة المحدثون من قواعدَ لعلم نحو النص وما يوجد من إشارات تدخل تحت إطار هذا العلم في تراثنا التليد؛ إذ إن كل جديد لا بد له من تليدٍ يعود إليه، ويعتمد عليه .

وقد احتوى البحثَ المنهجُ التحليليُّ؛ فقد حللت الآيات في ضوء المعايير الموضوعة لـ" نحو النص" وسرت عليها مع العودة إلى ما ذكره المفسرون والنحويون قديما وحديثا حول تلك الآيات البينات .

وقد قام البحث على خطة عمادها: مقدمة، ومبحثان لكل منهما مطالب، وخاتمةٌ، وثَبَتٌ لأهم المصادر والمراجع، وفهرسٌ للمحتوى .

أما المقدمة فذكرت فيها أسباب البحث، ومنهجه، وخطته. وأما المبحثان فهما:

المبحث الأول ــ مفهوم نحو النص وبعض القضايا العالقة به: وفيه مطلبان

المطلب الأول ــ مفهوم نحو النص: وقد ذكرت فيه تعريف النحو وترتيب ماهيته قديما وحديثا، وتعريف النص، ثم تعريفا لمصطلح (نحو النص) مركبًا .

المطلب الثاني ــ من نحو الجملة إلى نحو النص: وطرحت فيه قضية نحو الجملة ونحو النص،ورؤية المحدثين حولها مناقشًا بعض وجهات النظر في هذا الصدد .

المبحث الثاني ــ معايير نحو النص وأدواته مع التطبيق على آيات سورة الرحمن(٤٦ ـــ ٧٨): وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول ــ معيار السبك وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب الثاني ــ معيار الحبك وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب الثالث ــ معيار القصدية وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب الرابع ــ معيار المقبولية وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب الخامس ــ معيار التناصِّية وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب السادس ــ معيار المقاميَّة وتطبيقه على الآيات البينات .

المطلب السابع ــ معيار الإعلامية وتطبيقه على الآيات البينات .

وكنت أحاول أن أذكر إسهامات القدماء في كل معيار حسب الاطلاع والطاقة.

وأما الخاتمة ففيها أهم النتائج التي توصَّلتُ إليها،ثم جاءت المصادر والفهرس.

وأسأله ــ تعالى ــ أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأَنْ يسترني يَوْمَ الدِّينِ.

والحمد لله ربِّ العالمين

الباحث د/ علي نجار محمد حسن

المبحث الأول ــ مفهوم نحو النص وبعض القضايا العالقة به وفيه مطلبان:

المطلب الأول ــ مفهوم نحو النص

من ينعم النظر في تاريخ نحونا العربي التليد والجديد يستطيع ترتيبه من ناحية الماهية على النحو الآتي[1]:

أولاً: نحو الإعراب وهو الذي يُحدّ فيه الكلام بأنه: (اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها)، والذي يتمثل في حركات أواخر الكلمات إعرابًا وبناء، على أنّ هذا النحو بهذا التقنين هو من صناعة المتأخرين، أما المتقدمون من النحاة كالخليل (ت ١٧٥ ه) وسيبويه (ت ١٨٠ه) والفراء (ت ٢٠٧ ه) وبعض المتأخرين من المحققين فهو عندهم وصف لترتيب الكلام العربي وفهم تراكيبه. وعلى أية حال فنحو الإعراب يكوِّنُ فصلًا من فصول النحو العربي أو جزءًا من أجزائه وليس هو كلَّه.

ثانياً: نحو الأُسلوب وهو ما تكفل به البلاغيون وسمّوه (علم المعاني) الذي يتمثل في بناء قواعد الأُسلوب البليغ لأداء المعنى من خلال دراسة طرائق تأليف الكلام من خبر وإنشاء مع الأَخذ في الحسبان بحال المتكلم والسامع. مع التنبيه على أن هذا العلم (علم المعاني) هو في الأَصل علم معاني النحو .

ثالثاً: نحو الدلالة وهو ما توصل إليه الأصوليون الذين يرون أن الذي جاء به النحاة لا يرقى إلى النحو العربي؛ وذلك بسبب انشغالهم بأَثر العامل في معموله من رفع ونصب وجر وجزم، لا الدلالة على الأَداة والصيغة والتركيب في الجملة العربية، وعليه فقد أَخذوا باستقراء كلام العرب لمعرفة ما يريده المتكلم الذي يتمثل في الخطاب ومضمونه أو فعل الشيء أَو تركه.

(١) البحث النحوي عند الأصوليين،د/مصطفى جمال الدين،وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (١٩٨٠م) ص٩ ـــ١٣.

أما نحو النص ــ وهو المقصود بالتعريف والبحث هنا ــ فيراه أحد الباحثين[١] المرحلة الرابعة والمكمل لما رآه النحاة المحدثون من تطور في مفهوم مصطلح النحو .

و" نحو النص " مصطلح مركب من كلمتين: نحو ونص، وبتحليله ومعرفة أجزائه التركيبية نستطيع الوقوف على مفهوم هذا العلم (نحو النص) ووظيفته.

أولا ـ النحو:

تعددت التعريفات التي حدَّت النحوَ مضافا إلى النص؛ ومن ذلك الآتي:

عرفه فان دايك بأنه « نسق نظري من قواعد الصورة والمعنى»[٢] .

ولعله يقصد بهذا التعريف تلك الأطر والمعايير الشكلية التي تحكم علم النحو وتفضي في النهاية إلى إبراز تلك العلاقات الإعرابية بين الكلمات والجمل ثم النص بأكمله؛ مما يؤدي إلى الولوج داخل المعنى والدلالات المقصودة من هذا النص .

وعرفه الدكتور سعد مصلوح بقوله: «نمط من التحويل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرته الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة، مستوياتٍ ذاتَ طابع تدرجي يبدأ من علاقات ما بين الجمل ثم الفقرة ثم النص أو الخطاب بتمامه»[٣] .

وعرّفه الدكتور مصطفى النحاس بقوله: «النحو الذي يتخذ من النص وحدته اللغوية الكبرى للتحليل»[٤] .

وبناء على ما سبق نستطيع القول بأن " مصطلح (النحو) يختلف في الدراسات النصية عنه في الدراسات التقليدية المتعارف عليها؛ إذ يتعدى ما أراده المتقدمون من النحاة العرب وبعض متأخريهم من المحققين من معرفة تأليف

---

(١) الباحث/ رافد حميد سويدان خلف في: نحوُ النصِّ نظرية وتطبيق سورة آل عمران أنموذجًا؛ ص ١٨ . وقد فِدتُ من هذا البحث كثيرًا من الناحية النظرية في بحثي؛ فجزى الله صاحبه خيرا على مجهوده الوافر فيه .

(٢) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، (٢٠٠٦م) ص ٢٩ .

(٣) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص: ٤٠٧.

(٤) نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٤.

الكلام العربي، فهو هنا يحمل طابعًا خاصًّا يبتعد كثيرًا عن القواعد أَو القيود الصارمة التي تطبق على النص، ولا يتضمن مفهوم القاعدة إلا مجموعة من القوانين الاختيارية التي استُخلصت من النص ذاته، وهذه القوانين دلالية تتجه إلى تحديد المعنى الكلي للنص؛ بمعنى أَنه يهدف إلى تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى، وبناء عليه تتجاوز تلك الدلالة الكلية للنص مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكونه"(١).

ثانيا ــ النص:

جاء في جمهرة اللغة لابن دريد:" النَّص: نصصتُ الحَدِيث أنصُّه نصًّا إِذا أظهرتَه. ونصصتُ الْعَرُوس نصا إِذا أظهرتها. ونصصتُ الْبَعِير فِي السّير أنصه نصا إِذا رفعتَه. وَقَالُوا: نصصتُ الحَدِيث إِذا عزوتَه إِلَى محدثك بِهِ. ونصصتُ الْعَرُوس نصا إِذا أقعدتَها على المنصة. وكل شَيْء أظهرته فقد نصصته"(٢).

وما من شك أن هذه المعاني اللغوية لكلمة (نصّ) من الإظهار، والرفع، والعزو ــ لها دلالتها الواضحة في معنى النص المكتوب؛ فكاتب النص يظهره ويرفعه عاليا بوسائل الإعلام المختلفة حتى يقرأه الناس، وأما معنى العزو فدلالته واضحة بالنسبة للنص؛ فنحن الباحثين جميعا يَعزو بعضنا النصوص إلى بعض.

وأما النص اصطلاحيًّا فقد تنوعت ماهيته قديما وحديثا على النحو الآتي:

جاء مفهوم النص في تراثنا العربي محصوراً بما توصل إليه الأُصوليون وفهموه من عدة معانٍ(٣): الأول ــ يطلق على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة، سواء كان ظاهرًا أو نصًّا أَو مفسِّرًا حقيقة أَو مجازًا عامًّا أَو خاصًّا،

(١) علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) للدكتور/ سعيد حسن بحيري؛ مكتبة لبنان ــ ناشرون ــ الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان؛ ص ٢١٨ ــ ٢١٩ ، وينظر: نحوُ النصِّ نظرية وتطبيق سورة آل عمران أنموذجًا؛ ص ١٦ .

(٢) جمهرة اللغة:أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط: الأولى، ١٩٨٧م ، ١/ ١٤٥ .

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي (ت في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة) دار صادر، بيروت، د.ت ــ ٣ / ١٣٠٥ بتصرف .

اعتبارًا منهم للغالب؛ لأَن عامة ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم: عبارة النص، إشارته، دلالته...

الثاني ــ وهو الأشهر ــ: هو ما لا يتطرق إليه احتمال أَصلًا .

الثالث ــ ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل...

وأما مفهوم النص حديثا فغير مستقر لدى الباحثين الغربيين والعرب؛ لدرجة جعلتنا نجد " لدى باحث واحد بعينه في غير موضع عددًا من التعريفات، ويختلف محتوى أَو عناصر كل تعريف عن الآخر»[١] ولعل السر وراء عدم استقرار مفاهيم النص يرجع إلى الأسباب الآتية[٢]:

١ــ التَّماسُّ بين هذا العلم وغيره من العلوم .

٢ــ تعدد معايير هذا التعريف، أهي معايير شكلية، أَم معايير دلالية، أَم شكلية ودلالية معًا ؟.

٣ــ عدم اكتمال تطوير نحويات النص؛ لأَنَّ عدم الاكتمال يعني عدم اكتمال العلم.

وهذه بعض تعريفات النص عند الباحثين الغربيين والعرب المحدثين:

يذهب هاليداي ورقية حسن إلى أَنَّ كلمة النص تستعمل في «علم اللغة للإشارة إلى أَيِّة فقرة منطوقة أَو مكتوبة مهما طالت أَو امتدت، والنص هو وحدة اللغة المستعملة، وليس محددًا بحجمه...وأَفضل نظرة إلى النص أَنه وحدة دلالية»[٣].

ويَحدّه كلاوس برينكر بأَنه: «تتابع متماسك من علامات لغوية... لا تدخل تحت أَية وحدة لغوية أُخرى»[٤] وقد شرحه الدكتور سعيد بحيري فقال :

---

(١) علم لغة النص؛ ص ١١٥، نحوُ النصِّ نظرية وتطبيق؛ ص ٢١ .

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، الطبعة الأولى، (١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م) ١ / ٢٧ .

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/ ٢٩.

(٤) التحليل اللغوي للنص ــ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، (٢٠١٠م) ص ٢٦.

«النص هنا أكبر وحدة لغوية، ولا يمكن أن تدخل تحت وحدة لغوية أُخرى أكبر منها»(١).

وقد أبدى الدكتور أحمد عفيفي كثيرًا من الحذر أمام ما ورد عند الدكتور سعد مصلوح في قوله: «أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جامع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله» وقال معقبًا على التعريف: «فقد فقدت الجمل ــ داخل هذا التعريف ــ خاصية الاتصال، أو خاصية ارتباطها بسياق خطابي»(٢).

ويعرفه الدكتور حماسة عبد اللطيف بقوله: «النص لا يصبح نصًّا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزًا معينًا، فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضفورة تؤلف سياقًا خاصًّا بالنص نفسه ينبثُّ في المُرسَلةِ اللُّغويةِ كلِّها»(٣).

ويعرفه أحد الباحثين بقوله: «النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحدٍ هو ما نطلق عليه مصطلح (نص)»(٤).

وهذه التعريفات على حداثتها لا تجد فيها روح الجمال والإتقان التي تجدها عند عبد القاهر الجرجاني ـــ رحمه الله ـــ وهو يقول في نظم الكلام:" "واعلمْ أنَّ مَثَلَ واضعِ الكلام مثَلُ مَنْ يأخذ قطعًا من الذهب و الفضةِ فيُذيبُ بعضَها في بعضٍ حتى تَصير قطعةً واحدةً"(٥) .

ففكرة النص وانسجامه واضحة في ذهن العلامة عبد القاهر ـــ رحمه الله ـــ وضوحا بارزا، وبنية النص في تصوره تصل إلى مرتبة "الصهر الذي يتيح للناظم الوصول بنصه إلى أعلى درجات التشكيل .

---

(١) علم لغة النص؛ ص ١٠٩.
(٢) ينظر: نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه:٢٥.
(٤) السابق نفسه؛ ص ٢٦ .
(٥) دلائل الإعجاز ١ / ٤٢٣ .

بعد هذه التعريفات للنحو والنص وجب الجمع بينهما لوضع تعريف جامع مانع لمصطلح (نحو النص)؛ فهو: " علمٌ بمبادئَ يُعرف بها النصُّ من خلالِ سبعةِ معايير، وغرضُه هو معرفةُ كيفيةِ تحقُّق نصيّةِ النصّ "(١) .

المطلب الثاني ــ من نحو الجملة إلى نحو النص

يرى أصحاب نظرية نحو النص أن هذا العلم ينقُلنا من الوقوف عند نحو الجملة المفردة إلى نحو النص كله؛ لنَنْفُذَ منه إلى الدلالات المتعانقة التي من أجلها سُبك النصُّ .

وقد فرق علماؤنا قديما بين الجملة والكلام، وإن كان المقصد مختلفا إلا أن في تفريقهم إشارةً إلى أن الجملة لها سبيل، والكلام له سبيل أخرى .

فـ"الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد، نحو: زيد قائم، أو لم يفد، نحو: إن يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون الجملة أعمَّ من الكلام مطلقًا(٢)؛ لصدقها عليه وعلى غيره؛ إذ شرط الكلام الفائدة بخلاف الجملة. (٣)

وأما الكلام فهو: المعنى المركب الذي فيه الإسناد التام(٤).

وقد فرق ابن النحاس الحلبي (ت ٦٩٨ه) بين الكلام والجملة من غير هذا الوجه؛ أي: الإفادة وعدمها، وقد أفاد السيوطي من هذا الفرق، وضمنه كتابه الأشباه والنظائر؛ فقال:"قال ابن النحاس في تعليقه على المقرب: الفرق بين الكلام والجملة: أن الكلام يقال باعتبار الوَحْدة الحاصلة بالإسناد بين الكلمتين، وتسمى

---

(١) نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٢٩ .

(٢) التعريفات للجرجاني ــ ضبطه وصححه جماعة من العلماء ــ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ــ الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م؛ ص ٧٨.

(٣) شرح كتاب الحدود للفاكهي؛ ص ٦٤ ، وينظر: أثر بهاء الدين بن النحاس الحلبي (ت٦٩٨ه) في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (ت٩١١ ه) عرضًا وتقويمًا ــ بحث غير منشور للدكتور/ صابر السيد محمود؛ الأستاذ المساعد في قسم اللغويات ــ جامعة الأزهر بأسيوط؛ ص ٦٣.

(٤) التعريفات؛ ص ١٨٥.

الهيئة الاجتماعية، وصورة التركيب،وأن الجملة تقال باعتبار كثرة الأجزاء التي يقع فيها التركيب؛ لأن لكل مركب اعتبارين:الكثرة والوحدة، فالكثرة باعتبار أجزائه، والوحدة باعتبار هيئته الحاصلة في تلك الكثرة، والأجزاء الكثيرة تسمى مادة، والهيئة الاجتماعية الموحدة تسمى صورة".(١)

ويفرق المحدثون بين نحو الجملة ونحو النص، وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى مجموعة من المبادئ التي تخص نحو الجملة فقط؛ وهي(٢):

١ــ الاطراد: وهو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى، وما خرج عنها عُدَّ شاذًّا مع ملاحظة أنهم يحكمون في كثير من الأحيان للشذوذ بالفصاحة؛ لوروده على لسان أحد الناطقين خلال عصور الاستشهاد، والملاحظ أنَّ نحو النص ينأى عن الاطراد؛ لأنه يعترف بالمؤشرات الأُسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأُ إليها منشئ النص ليدلَّ بها على لفتات ذهنية، أو ليثير بها انتباه المتلقي، والمعروف أنَّ المؤشرات الأُسلوبية لا تأتي على نسق واحد مطرد.

٢ــ المعيارية: القاعدة في نحو الجملة هي أساس الصحة أو الخطأ، وينبغي أن يُراعى هذا الأساس عند النظر في أيِّ قول؛ فالمعيارية إذن سابقة على النص؛ ولهذا لا يؤمن نحو الجملة بنص إلا إذا كان موافقًا ومتطابقًا مع القواعد التي سبق استنباطها، أما نحو النص فهو أبعد ما يكون عنها ــ المعيارية ــ لأنه نحو تطبيقي غير نظري، فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص، وبعد أن يكون النص حاضرًا ومعرّضًا لتطبيق النحو عليه مستخرجًا من مادته، ولهذا يشير نحاة النص إلى أن المعيار دائمًا يكون من داخل النص لا من خارجه؛ ومن هنا يمكن أن تختلف المعايير.

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي – تح: د/ عبد العال سالم مكرم ــ ط/ مؤسسة الرسالة – الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ؛ ٩/٤ .

(٢) الكلام من هنا إلى آخر القضية منقول من: نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٣١ ٣٦ بتصرف كثير وإضافات من الباحث، مع الإبقاء على بعض وجهات نظر المؤلف التي ارتضيتها في هذا السياق .

٣ــ الإطلاق: ومعناه أَنْ تطلق القاعدة لتصدق على كلِّ ما قيل أَو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام في نحو الجملة، أَما نحو النص فلا يطبَّق على كلام قبل صياغته أَو في أَثنائها؛ ومن هنا يكون الحكم دائمًا في نحو النص بعد إنتاجه، وفي حالة التواصل الفعلي.

٤ــ الاقتصار على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة، فلا يتخطاها البحث إلا عند إرادة معنى الإضراب أَو الاستدراك أَو غير ذلك من الدلالات التي يمكن أَن تربط بين جملتين؛ مثل: التعليل أَو الشرط أَو ما شابه ذلك من الدلالات.

تلك هي أَهم الفروق التي يختص بها نحو الجملة، أَما عن خصائص نحو النص فيذهب الدكتور تمام حسان إلى أَنَّ نحو النص يمتاز بجملة من المعايير تشكل تخصصه عن نحو الجملة، ويمكن تحديدها بالقصد والتناص والمقامية والإعلامية والقبول[١].

ونستطيع القول بأن نحو النص يختلف عن نحو الجملة «من حيث إنَّ المعنى في نحو الجملة لا يظهر مرتبطًا بالدلالة المطلقة للنص، وينحصر في نطاق دلالي ضيق منفصل، لا يمكن أَنْ يفهم منه السياق العام للخطاب...»[٢] .

وهذا الاجتزاء يَحرِمُ النصَّ قيمته الدلالية بتقطيع أَوصاله، وانعدام العلاقات داخله، وهنا يقترح الدكتور سعد مصلوح تغيير القبلة البحثية من نحو الجملة إلى نحو النص بقوله: «وهنا نَجزِم بأَننا في حاجة لكي نرسي هذا المنهج إلى ما يشبه تغيير القبلة البحثية، وذلك بالانتقال بالنحو العربي واللسانيات العربية عامة من طور ظلَّ فيه حبيس أَدوار الجملة؛ أَي الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، إلى طور يكون فيه النحو ــ بالمفهوم الواسع للمصطلح ــ قادرًا بوسائله على محاصرة النص ووصفه، والكشف عن علاقاته التي تتحقق بها نصية النص بما

(١) نحو آجرومية للنص الشعري _ دراسة في قصيدة جاهلية _ د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، أغسطس، (١٩٩١ م) ص ١٥٤ .
(٢) نحو النص، د. مصطفى النحاس؛ ص ١١.

هو حدث تواصلي مركب ذو بنية مكتفية بنفسها قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل»[١] .

وأقول إن تصوير حاجة النحو العربي إلى نحو النص واللسانيات الحديثة عامة، أظنه أمرًا مقبولًا لدى أهل العلم ــ إلا أنني أعترض على دعوته إلى الإعراض عن نحو الجملة؛ وذلك لأَنني أَرى أَن اللسانيات العربية لسانيات جملة ولسانيات نص، وليس لأَحد منهما أَن يلغي الآخر، بل إنَّ كثيرًا من علمائنا القدماء قد جمعوا بين الاثنين، لاسيما المفسرين والبلاغيين والأُصوليين وغيرَهم ممن تعاملوا مع النصوص ومع الجملة"وإذا كان النحو العربي وغيره قد انطلق من نحو الجملة، وانحصرت التحليلات النحوية في هذا الإطار، فإنَّ هذا ليس قصورًا فيها، وإنما هو راجع إلى الأَسباب التي من أَجلها تم القيام بتقعيد اللغة، فقد كان من أَهمها الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة؛ ومن ثَمَّ كان الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة، إذن لم يرتبط الحكم بالصحة أَو عدمها بالنص بل بالجملة ومكوناتها الصوتية والصرفية والمعجمية"[٢].

وأَرى أَنَّ مقولة الدكتور سعد مصلوح تجاه النحو العربي التقليدي «إنَّ النمط التقليدي السائد في دراسة النحو العربي وتدريسه بمدارسنا وجامعاتنا ليس هو الممكن الوحيد على ما يعتقده كثيرون بادي النظر، إنه ــ فيما نرى ــ ليس إلا واقعاً علميًّا يمكننا بل إنَّ علينا أَنْ نجاوزه إلى واقع علمي جديد، لقد استنفد هذا النحو أَغراضه، واستهلك نفسه أَو استهلكه أَصحابه درسًا وتدريسًا بعد أَن أَنضجه أَسلافنا حتى احترق، وولَجْنا به نحن إلى نفق مظلم محال معه أَنْ نضيف إليه جديدًا إلا بإدراك هذه الحقيقة»[٣] ــ فيها شيء من الحدّة واليأس تجاهه، وربما كلامه هذا ينطبق على غير العربية، إذ إنَّ الدراسات النصية ولا سيما نحو

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م) ص٢٢٣ .
(٢) علم اللغة النصي: ٤٩/١ ، ٥٠ ، وينظر: نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٣٣ .
(٣) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص؛ ص ٤٠٦.

النص نشأ سدًّا للنقص الموجود في نحوهم التقليدي (نحو الجملة)، لهذا ترى أَنَّ أحد أعلامهم وهو بول روبرتس قد أعلن عن تشييع جثمان النحاة، وأفرط في إطراء الدقة والموضوعية في مناهج اللسانيات[1]، وقد وضح ديبوجراند السبب في ذلك؛ إذ قال: «أَخذ النحو التقليدي من عدد من المنابع التي لا يمكن بصفة دائمة أَن ينسجم بعضها مع بعض، فالمنطق والفلسفة والبلاغة والأَدب والاتجاهات العامة والنظرات الفردية لكل من النحويين بل النظم النحوية للغات الأُخرى (وبخاصة اللاتينية) كل ذلك كان من مصادر الأَخذ، فكانت النتيجة اختلافًا كبيرًا من المبادئ من حيث طبقت بصور متناثرة أَو لأَغراض مختلفة»[2].

وهذا السبب لا يشفع له ولا لغيره بتشييع جثمان النحاة، فهذا الكلام مقصور على علمائهم ونحوهم، وإن نعجب فعجب قولهم في هذا الصدد ، إذ اللسانيات تؤمن بمبدإ تكافل العلوم المختلفة، فكيف يتفق وتَذَرَّعهم عن نحو الجملة.

ثم إن النحو العربي بحاله التليدة والجديدة علم يحمل في طياته عقيدة ودينا أساسه القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ فلا يمكن بحال من الأحوال أن نعامله كما نعامل النحو في اللغات الأخرى ونصدر عليه الأحكام التي نصدرها على أنحائها من الاستغناء عنه أو عن بعض طرائقه؛ إذ إن هذه الطرائق استنبطت بها أحكام، وقامت عليها في الشريعة أبواب .

إن النحو العربي يحتاج إلى نحو الجملة ونحو النص؛ ليُفيد منهما الدارسون حسب طبيعة الدارسة والحاجة . ونرتضي كلام الدكتور تمام حسان ونؤيده؛ إذ يقول: «وليس لأَحد الاتجاهين أَن يلغي الآخر فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية، ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية، وفي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين، ذلك أَنَّ من مأثوراتنا أَنَّ القرآن يفسر بعضه بعضًا، وأَنَّ السنّة تفصّل ما في القرآن من إجمال، كما تدل نشأَة الدراسات البلاغية على محاولة الاعتداد بالتركيب في مقابل التحليل كاعتدادها بالمعنى المجازي وبلازم المعنى ... إلخ، فالغاية من هذه الأُمور

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ ص ٥٦١.
(٢) السابق؛ ص ٥٦٠، وينظر: نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٣٤ .

وما شابهها هي الانتفاع بالنص في جملته لبيان وفائه بما تعلق به من أغـراض ثم بيان انتفاع النص بالنص في جلاء ما غَمُضَ من مراميه»[١].

وعلى ذلك يمكننا القولُ بأن الدراسات النصية ضاربة بجذورها في أعمـاق التراث ومتأصلة فيه؛ إذ تنطلق الدراسات النصية من تحليل أَجزاء النص، وهـي الوحدات الجملية المكونة له (وحداته الصغرى)؛ إذ «إنّ تفكيك النص وتحليله إلى وحداته الصغرى لا يُعدّ بعثرة لهذا النص، كما أَنه لا يسمح لنا بأَن نتهم من يقوم بهذا الإجراء بأَنه صاحب نظرة جزئية، وأَنه غير قادر على بناء صرح شامل هو ما يعرف بالنظريات، ولكن التفكيك وسيلة إلى إدراك النظريات المتبعة في بنـاء النص، ونظام النحو والوسائل التي يتيحها، أَو بالأَحرى التي تلقيناها عن أَسلافنا في تحليلهم للنصوص العربية ــ تعدّ من أَدقّ الطرق التي يمكن بها تفكيك البنيان، سواء أَكان على مستوى الكلمة الواحدة أَم الجمل أَم العبارة أَم النص، وهي التي تتيح إدراك المضمون الفكري أَو الدلالة المقصودة من إنشاء التركيب»[٢].

(١) النص والخطاب والإجراء؛ مقدمة المترجم ص ٤.
(٢) النحو والفكر والإبداع ــ دراسة في تفكيك النص وتوثيقه، د. ممدوح عبد الرحمن،ص٥.

المبحث الثاني ــ معايير نحو النص وأدواته مع التطبيق على آيات سورة الرحمن (٤٦ ــ ٧٨): وفيه سبعة مطالب: أذكر قبلها:

الآيات الكريمات محل الدراسة (سورة الرحمن ٤٦ ــ ٧٨)

يقول ربُّنَا ــ جلَّ وعلا ــ:((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨))) صدق الله العظيم .

المطلب الأول ــ معيار السبك: وتطبيقه على الآيات البينات

السبك: عرَّفه ديبوجراند بقوله: «وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط»(١)، ويعرف أيضًا بالربط الرصفي أو التضام.

وعناصر السبك النحوي هي:

١ ــ الإحالة: يقصد بها وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها(٢) . وهناك إحالة نصية (قبلية وبعدية) وإحالة مقامية؛ والفرق بينهما أن الإحالة المقامية تُسهم في إيجاد النص؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص؛ وهي ثلاث وسائل(٣):

أ ــ الضمائر بأنواعها .

ب ــ أسماء الإشارة: ويدخل تحتها أيضا الظرفية الزمانية (الآن ـــ غدًا).

ج ــ المقارنة وأدواتها (أجمل مِنْ ــ جميل مثل ...) .

وهناك وسيلة أخرى يمكننا جعلها من وسائل الإحالة؛ ألا وهي الموصولية المتمثلة في الأسماء الموصولة التي يعتمد دورها في عملية السبك غالبا على الجملة الواحدة . [جملة الصلة] .

٢ ــ الحذف: وهو علاقة تتم داخل النص، ويظهر «عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص»(٤). إذ "يميل المتكلم إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة، ووضوح قرائن السياق تارة أخرى»(٥). والحذف من

(١) النص والخطاب والإجراء؛ ص ١٠٣.
(٢) نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ٦٤ .
(٣) لسانيات النص؛ ص ١٦ بتصرف يسير .
(٤) نظرية علم النص؛ ص ٨٧.
(٥) علم اللغة النصي ١٩١/٢.

القضايا التي شغلت العلماء قديمًا وحديثًا؛ فقد ذكره سيبويه[١] وتناوله ابن جني وعدَّه من شجاعة العربية[٢] واستطرد به ابن هشام ليتمرن به المعرِب[٣] وشرحه الزركشي وكشف عن فوائده وشروطه[٤] وسماه الأندلسي في شرح البديعية الاحتباك،وشرحه السيوطي فقال: «ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدُّه وإحكامُه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق؛ وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكًا له مانعًا من خلل يطرقه فسدَّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق»[٥].

ويشترط علماؤنا القدماء والمحدثون ضرورة وجود الدليل على المحذوف إما من لفظه أو سياقه . والحذف يكون للاسم والفعل والجملة .

٣ ــ الاستبدال: وهو تعويض عن عنصر في النص بعنصر آخر . والفرق بينه وبين الحذف هو أن الاستبدال يترك أثرًا من المستبدَل به، بينما الحذف لا يترك أثرا من المحذوف[٦] .

٤ ــ الوصل: وهو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم[٧] . وللوصل أنواع؛ هي:

أ ــ وصل إضافي: ومن أدواته: العطف .

ب ــ وصل عكسي: ومن أدواته: لكن ــ لمَّا يفعل ...

ج ــ وصل سببي: ومن أدواته أسلوب الشرط القائم على السبب والنتيجة .

---

(١) ينظر: الكتاب ١/١٢٨-١٣٧.
(٢) ينظر: الخصائص ٢/٣٦٠.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ٢/١١٨.
(٤) ينظر: البرهان ٣/١١١.
(٥) الإتقان ٢/٢٢٦.
(٦) لسانيات النص للخطابي؛ ص ١٩ .
(٧) ينظر تعريف الوصل وأنواعه في المرجع السابق؛ ص ٢٢ ، ٢٣ .

د ــ وصل زمني: ومن أدواته: حينئذٍ ــ وقتئذٍ ــ عندئذٍ ...

ووظيفة الوصل تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة.

هذا، وهناك سبك آخر داخل النص؛وهو السبك المعجمي؛ويقصَدُ به العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية، وعناصره أو أدواته هي:

التكرار: ويقصد به تكرار لفظتين مرجعهما واحد؛ مما يساعد على وجود ترابط دلالي «كما أن التكرار عامة يسمح للمتكلم أن يقول شيئًا مرة أخرى بالتتابع مع إضافة بُعْدٍ جديدٍ له»(١).

أما وظيفته فهي تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، ويشترط لتحقيق هذه الوظيفة شرط أساسي وهو أن يكون لهذا الملمح (العنصر) المكرر نسبة ورود عالية في النص تميزه عن نظرائه، وأن يساعدنا رصده على فك لغز النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته، فهو زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق السبك النصي، وذلك عن طريق امتداد عنصر من أول النص حتى آخره، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص مع مساعدة عوامل السبك الأخرى(٢).

ويقسم التكرار إلى دلالي ولفظي، إذ الأول «ينقسم إلى تكرار معجمي مفهومي بأن يتكرر العنصر مع الاحتفاظ بالمدلول نفسه، والتكرار بذلك يحافظ على الإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص والخطاب... وتكرار معجمي فقط بأن يتكرر التعبير مع حمل مدلول مختلف تمامًا في المرة التالية (مشترك لفظي)»(٣).

والثاني: ينقسم إلى «تكرار جزئي أو استعمال المكونات الأساسية للكلمة مع نقلها إلى فئة أخرى (من فئة الاسم إلى فئة الفعل) وتكرار كلي حيث تتكرر الكلمة من دون تغيير»(٤).

---

(١) نظرية علم النص ؛ ص ١٠٦.
(٢) ينظر: علم اللغة النصي ٢/٢١-٢٢، ونظرية علم النص ؛ ص ١٠٧.
(٣) نظرية علم النص ؛ ص١٠٧.
(٤) المصدر نفسه؛ ص ١٠٧.

أ. المصاحبة المعجمية: وهي توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك[1]؛ إذ هناك «أزواج من الألفاظ متصاحبة دومًا بمعنى أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر؛ ومن ثَم يظهران دومًا معًا...

وقد أورد هاليداي ورقية حسن بعضها وهي:

«١. التباين: وله درجات عديدة، إذ قد يكون اللفظان:

أ. متضادين مثل: ولد ــ بنت ب. متخالفين مثل: أحب ــ أكره ج. متعاكسين مثل: أمر ــ أطاع.

١. الدخول في سلسلة مرتبة مثل: الثلاثاء ــ الأربعاء، الدولار ــ السنت، اللواء ــ العميد.

٢. الكل للجزء مثل: السيارة ــ الفرامل، الصندوق ــ الغطاء.

٣. الجزء للجزء مثل: الفم ــ الذقن.

٤. الاندراج في صنف عام مثل: الكرسي ــ الطاولة؛ إذ تشملها كلمة الأثاث.

وإذا كانت هذه العلاقات واضحة فهناك علاقات يصعب تحديدها؛ مثل العلاقات الجامعة بين الأزواج: الضحك، النكتة، الحديقة ــ الحرث، المريض ــ الطبيب، المحاولة ــ النجاح. وقد تتسع المصاحبة لتشمل زوجًا من الكلمات، وذلك مثل: شعر ــ أدب ــ القارئ ــ الكاتب ــ الأسلوب»[2].

وفي نهاية الحديث عن السبك ووسائله لابد من التنبيه على وسيلة أخرى مهمة من وسائله ألا وهي الاتساق الصوتي في النص، وبالنسبة لنصنا الكريم تظهر الوسيلة في الفواصل القرآنية . وأيضا لا يمكن التغافل عن السبك الدلالي الذي يمثل الهدف الأسمى لأي نص .

بعد هذا التطواف النظري داخل معيار السبك ــ أَدْلِفُ إلى النص الكريم لأستخرج منه ما رأى الجَنان من هذه الأدوات والوسائل وكذلك ما رآه من بقية المعايير، وأودّ أن أشير إلى أن تطبيقي على هذا النص القرآني المعجز يدخل

(١) ينظر: لسانيات النص؛ ص ٢٥.

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٦ م). ص ١٠٨، وينظر: لسانيات النص: ٢٥، والأصول، تمام حسان: ٣٠١.

تحت ما قاله القاضي شمس الدين الخُوَيِّيّ[1]: «أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ــ عليه السلام ــ وذلك متعذر إلا في آيات قلائل؛ فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله ــ تعالى ــ أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيّه بالتنصيص على المراد، وإنما هو ــ عليه السلام ــ صوّب رأي جماعة من المفسرين؛ فصار ذلك دليلا قاطعا على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله»[2] .

وقبل البدء تجدر الإشارة إلى أن تحليلنا لهذا الجانب سيسير على وفق قاعدة يؤسس بها النصيون للنصوص؛ ألا وهي أساس النص أو جملة النواة أو الجملة المفتاح كما يسمونها، ويقصدون بها الجملة الأولى التي يبدأ منها النص ويدور حولها ويكون محورها، ولا يمكن الاستغناء عنها، وكذلك الجمل الأخرى تكون ثانوية بالنسبة إليها ومرتبطة بها، على أن هذا الأمر لم يكن مقصورًا على علماء النص المحدثين؛ إذ تنبه إليه علماؤنا القدماء وأشاروا إليه؛ قال السيوطي ـــ رحمه الله ـــ:" فِي تَذْكِرَةِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ السبكي ومن خطه نقلت: سأل الْإِمَامُ مَا الْحِكْمَةُ فِي افْتِتَاحِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ بِالتَّسْبِيحِ وَالْكَهْفِ بِالتَّحْمِيدِ، وَأَجَابَ بِأَنَّ التَّسْبِيحَ حَيْثُ جَاءَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّحْمِيدِ؛ نَحْوَ:" فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ " [ونحو قول الناس]:(سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ للَّهِ) . وَأَجَابَ ابْنُ الزَّمَلْكَانِيِّ: بِأَنَّ "سُورَةَ سُبْحَانَ" لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْإِسْرَاءِ الَّذِي كَذَّبَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ النَّبِيَّ ــ ﷺ ــ وَتَكْذِيبُهُ تَكْذِيبٌ للَّهِ ــ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ــ أَتَى بـ"سُبْحَانَ" لتَنْزِيهِ اللَّهِ ــ تَعَالَى ــ عَمَّا نُسِبَ إِلَى نَبِيِّهِ مِنَ الْكَذِبِ . وَسُورَةُ الْكَهْفِ لَمَّا أُنْزِلَتْ بَعْدَ سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَتَأَخُّرِ الْوَحْيِ نَزَلَتْ مُبَيِّنَةً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْطَعْ نِعْمَتَهُ عَنْ نَبِيِّهِ وَلَا عَنِ

(١) هو مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَلِيلِ بْنِ سَعَادَةَ قاضِي الْقُضَاةِ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ الخُوَيِّيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيّ إِمَامٌ بَارِعٌ مُتَفَنِّنٌ مُصَنِّفٌ حَاوٍ لِلْفَضَائِلِ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. وَسَمِعَ مِنَ ابْنِ اللَّتِّيِّ، وَالسَّخَاوِيِّ، وَابْنِ الصَّلَاحِ، وَغَيْرِهِمْ، وَأَجَازَ لَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. مَاتَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. (معجم الشيوخ الكبير للذهبي ٢ / ١٤٤) .

(٢) البرهان للزركشي ١٦/١.

الْمُؤْمِنِينَ بَلْ أَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ؛ فَنَاسَبَ افْتِتَاحَهَا بِالْحَمْدِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ "[1] .

والجملة المفتاح أو النواة أو الأم في نصنا الكريم هي " ولِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ "؛ وهي نقطة الدائرة لهذه الآيات سواء أكانت الواو هنا استئنافية أم عاطفة[2]، وهذا المفتاح يحمل في طياته الحكمة القائلة: الجزاء من جنس العمل، أو كما يقول القرآن الكريم:" جزاءً مِنْ ربِّكَ عطاءً حسابًا "[3] ؛ فهي يتفرع منها محوران:

الأول ــ محور العمل والعاملين من الجن والإنس: وهو عمل قائم على الخوف من مقام العزيز الجبار ــ سبحانه وتعالى ــ ولا شك في أن هذا العمل يصل بصاحبه إلى درجة الإحسان التي هي أعلى درجات العمل في الإسلام؛ فقد عرفه النبي ــ ﷺ ــ بقوله:" أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[4] ؛ قال الزمخشري:" مَقامَ رَبِّهِ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ) ونحوه (لِمَنْ خافَ مَقامِي)، ويجوز أن يراد بمقام ربه: أن الله قائم عليه؛ أى: حافظ مهيمن؛ من قوله ــ تعالى ــ:" أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ"[5]؛ فهو يراقب ذلك فلا يُجْسَرُ على معصيته"[6].

الثاني ــ محور الجزاء: وهو جزاء من جنس العمل، يكافئ به الكريم ــ تعالى ــ أولئك العاملين الخائفين من مقامه العظيم . وقد كثرت الآراء حول المقصود بهاتين الجنتين؛ فمما قاله أهل التأويل في ذلك:" لكل خائفين منكما جنتان: جنة للخائف الإنسى، وجنة للخائف الجنى. ويجوز أن يقال: جنة لفعل

---

(١) الإتقان ٢ / ٣٨٧ .
(٢) من أهل الإعراب من جعل (الواو) هنا استئنافية (ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٧ / ١٠١،وإعراب القرآن للدعاس ٣ / ٢٩٤) . ومنهم من جعلها عاطفة (ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٩ / ٤١٥) .
(٣) سورة النبأ: الآية ٣٦ .
(٤) متفق عليه: صحيح البخاري رقم ٥٠ ، و ٤٧٧٧ ، وصحيح مسلم ١/ ٣٦ ، ٣٩ .
(٥) سورة الرعد: من الآية ٣٣ .
(٦) الكشاف ٤ / ٤٥١ .

الطاعات، وجنة لترك المعاصي؛ لأنّ التكليف دائر عليهما، وأن يقال: جنة يثاب بها، وأخرى تضم إليها على وجه التفضل؛ كقوله ــ تعالى ــ:" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ "(١) "(٢).

وعناصر السبك العائدة إلى هذين المحورين والمؤدية إلى الترابط والاتساق والانسجام في النص الكريم بارزة واضحة في الآيات التوالي للآية المحور .

وأول هذه العناصر الإحالة عن طريق الضمائر ؛ وذلك الآتي:

١ ــ ضمائر تعود على العاملين في الكلمات الآتية:(خاف ــ ربه ــ متكئين ــ أي: "هم" ــ قبلهم) .

٢ ــ ضمائر تعود على الجزاء ــ الجنتين ــ في الكلمات الآتية:(ذواتا ــــ فيهما ــ فيهنّ ــ دونهما) .

ويلاحظ هذا التعادل بين الضمائر الخاصة بالعاملين والخاصة بجزائهم، ويؤكد هذا التعادلَ والسبكَ الرابطَ للمحورين الأساسين المنبثقين من الجملة النواة ــ هذه الآيةُ الكريمة:" هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ"؛ قال الزمخشري:"هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ في العمل إِلَّا الْإِحْسانُ في الثواب"(٣).

وهنا إحالة وقف الجنان معها يتأملها وهي الضمير في (فيهنّ) فقد جاءت الضمائر الراجعة إلى الجنتين مثناة إلا في (فيهن) جاء الضمير جمعا وبالصيغة التي تستخدم مع العاقل غالبا (هنَّ) ولم يقل (فيهما) أو (فيها) أما مجيء الإحالة بالجمع هنا فقد قال عنها المفسرون:" وَإِنَّمَا قَالَ فِيهِنَّ؛ لِأَنَّهُ عَنَى الْجَنَّتَيْنِ وَمَا أَعَدَّ لِصَاحِبِهِمَا فِيهِمَا مِنَ النَّعِيمِ. وَقِيلَ فِيهِنَّ؛ أَيْ: فِي الْفُرُشِ الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ"(٤). وقيل:"وفى إعادة الضمير جمعا على الجنتين فى قوله ــ تعالى

(١) سورة يونس: من الآية ٢٦ .
(٢) الكشاف٤/ ٤٥١،والتفسير الكبير للفخر الرازي٢٩/ ٣٦٩، وغيرهما من كتب التفسير في هذا الموضع.
(٣) الكشاف٤/ ٤٥٢ .
(٤) يراجع: فتح القدير للشوكاني ٥ / ١٦٧ .

ـــ:«فِيهِنَّ» بدلا من «فيهما» إشارة إلى أن هاتين الجنتين، جنات فـــى ســـعتهما، وامتدادهما[١] ".

وأما استعمال ضمير العاقل فلم أجد ـــ حسب اطلاعي ـــ من أشار إلى شـــيء في ذلك من كتب المفسرين والمعربين، ولكن ما رآه الجنان أن القرآن الكـــريم لمـــا أراد ذكر الحور العين في الجنات جاء بالضمير العاقل مشاكلةً، وفي هذا إشارة إلـــى رفع شأن أولئك الحوريات؛ كما في سورة الواقعة في قوله ـــ تعالى ـــ : "يطـــوفُ عليهم ولدانٌ مخلدون، بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معينٍ،لا يُصـــدَّعونَ عنهـــا ولا يُنزفونَ،وفاكهةٍ مما يتخيرونَ،ولحمِ طيرٍ مما يَشتهونَ،وحورٌ عينٌ "[٢].

فللباحث خاطرة في هذه الآية الكريمة " وحورٌ عـــينٌ " ألا وهـــي المعنـــى المستفاد من الرفع الذي يدل على أن الحور العين لا يُطـــاف بهـــن كمـــا يطـــاف بالخمر، وهذا المعنى فيه مالا يخفى من التكريم للمرأة ؛ فهي غير مبتذلة حتى في الجنة، نعم هي متعة للرجال من أهل الجنة، ولكن ذلك يكون في خدرها الذي أعده الله لها ، وليس عن طريق الطواف بهن؛ فهن " حورٌ مقصُورات في الخيام"[٣].

هذا، وفي النص إحالة موجهة إلى المتلقي في(ربكما ـــ تكذبان) فالخطاب هنا صريح للإنس والجن، والسؤال متكرر لهما عن طريق ضمير الخطاب (الكاف) وألف الاثنين المخاطبِ بها؛ أي: تكذبان أنتما . وهؤلاء هم العاملون الذين يُشَوِّقُهم القرآنُ إلى الجنتين بقوله:" ولِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ " .

وأما السبك المعجمي فنستطيع الحديث عنه في تكرار هذه الآية الكريمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقد تكررت في مقطع الآيات المدروسة ستَّ عشرةَ مرة؛ أي بما يقارب نسبة ٥٢ % من مجموع ذكرها الكلي بالسورة؛ وهو إحدى وثلاثـــين مـــرة، وهذا محور بارز من محاور السبك يحوي السورة بأكملها ألا وهو التذكير بـــنعم الله ـــ تعالى ـــ على خلقه والإقرار بها. " وقد كان هذا التكرار مـــدخلا مـــن مـــداخل الطعن على القرآن، عند كثيرين من مرضى العقول والقلوب، مـــن المستشـــرقين

(١) يراجع: التفسير القرآني للقرآن؛ عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٦٩٣ .
(٢) سورة الواقعة : الآيات ١٧ – ٢٢ .
(٣) سورة الرحمن : الآية ٧٢ .

والمتتلمذين عليهم؛ إذ عدوّا هذا التكرار مخلًّا ببلاغة الكلام، جائرا على فصاحته، ثم يجاوزون هذا إلى القول بأن هذا التكرار الذي جاء خارجا على الأسلوب العام للقرآن، إنما يمثل حالا من أحوال الصّرع الذي كان يَعرض للنبيّ! "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" "(١) فـ"مَا الْحِكْمَةُ فِي تَكْرِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَكَوْنِهِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرَّةً؟ نقول: الجواب عنه من وجوه: الأول ــ أن فَائِدَةَ التَّكْرِيرِ التَّقْرِيرُ . الْجَوَابُ الثَّانِي: أنه ــ تَعَالَى ــ ذَكَرَ فِي السُّورَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ (القمر): (فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِبَيَانِ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَى وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّكْرِيرِ وَلِلثَّلَاثِ وَالسَّبْعِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْدَادِ فَوَائِدُ ... فلما ذكَّرنا الْعَذَابَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ذَكَرَ الْآلَاءَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرَّةً لِبَيَانِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى وَثَلَاثِينَ مرة للتقرير؛ الآلاء مَذْكُورَةٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ أَضْعَافَ مَرَّاتِ ذِكْرِ الْعَذَابِ إِشَارَةً إِلَى مَعْنَى قَوْلُهُ ــ تَعَالَى ــ: (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها) [الْأَنْعَامِ: ١٦٠] . الثَّالِثُ: أَنَّ الثَّلَاثِينَ مَرَّةً تَكْرِيرٌ بَعْدَ الْبَيَانِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ مَعَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالنِّعَمُ مُنْحَصِرَةٌ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ وَتَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ، لَكِنَّ أعظم المكروهات عذاب جهنم ولها سبعة أبواب، وَأَتَمُّ الْمَقَاصِدِ نَعِيمُ الْجَنَّةِ وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ؛ فَإِغْلَاقُ الْأَبْوَابِ السَّبْعَةِ وَفَتْحُ الْأَبْوَابِ الثَّمَانِيَةِ جَمِيعُهُ نِعْمَةٌ وَإِكْرَامٌ، فَإِذَا اعْتَبَرْتَ تِلْكَ النِّعَمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جِنْسِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ مَرَّةً وَهِيَ مَرَّاتُ التَّكْرِيرِ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْمَرَّةُ الْأُولَى لِبَيَانِ فَائِدَةِ الْكَلَامِ، وَهَذَا مَنْقُولٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ــ تَعَالَى ــ ذَكَرَ نِعَمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا ذكره اقتصار عَلَى بَيَانِ نِعَمِ الْآخِرَةِ . الرَّابِعُ: هُوَ أَنَّ أَبْوَابَ النَّارِ سَبْعَةٌ وَاللَّهُ ــ تَعَالَى ــ ذَكَرَ سَبْعَ آيَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالتَّخْوِيفِ مِنَ النَّارِ، مِنْ قَوْلِهِ ــ تعالى ــ: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) [الرَّحْمَنِ: ٣١-٤٤] ثُمَّ إِنَّهُ ــ تَعَالَى ــ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ حَيْثُ قَالَ: (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) [الرَّحْمَنِ: ٤٦] وَلِكُلِّ جَنَّةٍ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ تُفْتَحُ كُلُّهَا لِلْمُتَّقِينَ، وَذَكَرَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ آيَاتِ التَّخْوِيفِ ثَمَانِيَ مَرَّاتٍ: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٤ / ٦٥٢ .

سَبْعَ مَرَّاتٍ للتَّقْرِير بِالتَّكْرِير اسْتِيفَاءً للْعَدَدِ الْكَثِير الَّـذِي هُـوَ سَـبْعَةٌ... فَصَـارَ الْمَجْمُوعُ ثَلَاثِينَ مَرَّةً؛ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي هِيَ عَقِيبَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ لِبَيَـانِ الْمَعْنَـى وَهُوَ الْأَصْلُ وَالتَّكْثِيرُ تَكْرَارٌ فَصَارَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرَّة "[1] .

ومن جميل ما قيل في ذلك أيضا:"كرر الْآيَة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مرّة؛ ثَمَانِيَة مِنْهَا ذكرت عُقَيْبَ آيَات فِيهَا تعداد عجائب خلـق الله وبـدائع صـنعه ومبـدأ الْخلـق ومعادهم، ثمَّ سَبْعَة مِنْهَا عقيب آيَات فِيهَا ذكر النَّار وشدائدها على عـدد أَبْـوَاب جَهَنَّم؛ وَحسن ذكر الآلاء عقيبها؛ لِأَن فِي صرفهَا وَدفعهَـا نعمـا تـوازي الـنعم الْمَذْكُورَة، أَو لِأَنَّهَا حلت بالأعداء؛ وَذَلِكَ يعد أكبر النعماء. وَبعد هَذِه السَّبْعَة ثَمَانِيَة فِي وصف الْجنان وَأَهْلهَا على عدد أَبْوَاب الْجنَّة، وثَمَانِيَة أُخْرَى بعْـدهَا للجنتـين اللَّتَيْن دونهمَا؛ فَمن اعْتقد الثَّمَانِية الأولى وَعمل بموجبها اسْتحق كلتا الثمـانيتين من الله ووقاه السَّبْعَة السَّابِقَة . وَالله ــ تَعَالَى ــ أعلم "[2] .

" ثم انظر مرة أخرى إلى هذا التدبير الحكيم الذي تطلـع بـه عليـك هـذه المقدمة من الفواصل المتتابعة، المتماثلة، مع فاصلة الآية المكررة:

الرحمن.. القرآن.. الإنسان.. البيان.. بحسبان.. يسجدان..

الميزان.. الميزان.. الميزان.. للأنام.. الأكمام.. الريحان..

فهذه اثنتا عشرة فاصلة، سبقت المقطع الذي سيتكرر فى السورة فى قولـه ــ تعالى ــ: «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» فيكون أشبه بمقدمة لهذا التكرار، إذ يكون من شأنه أن يقيم الأذن على هذا النغم، ويربطها به، فإذا تكررت هذه الآية بعـد ذلك، لم تجد الطريق إلى الأذن مسدودا عليها، أو مستوحشا منها، بـل إن الأذن لتتفتح لها، وتدعوها إليها، وتجذبها نحوها.

وانظر مرة ثالثة:

فلقد سبق هذا التكرارَ المنتظر، تكرارٌ آخر، يمهد لـه، ويهيـىء السـمع واللسان لاستقباله..

---

(١) تفسير الرازي ٢٩ / ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيـه مـن الحجـة والبيان؛ للكرماني؛ ص ٢٣١ .

وذلك بأن تكررت كلمة «الميزان» ثلاث مرات فى ثلاث فواصل متتابعة، دون أن يفصِل بينها فاصلٌ آخر.. ولا شك أن هذا تمهيد بليغ للتكرار الذي سيبدأ بعد هذه الفواصل مباشرة بقوله «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» والذي سيتكرر إحدى وثلاثين مرة "[1] .

وهنا يتداخل السبك المعجمي مع السبك الصوتي من خلال فواصل السورة التي لا يمكن أن تملَّها أذن راقية؛ فإيقاع الفواصل"يتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت "[2] الناشئ عن تسكين الحرف الأخير بعد ألف المد دائمًا (جنتان ــ تكذبان ــ أفنان ــ تجريان ــ زوجان ــ ... الخيام ــ ... الإكرام) وهنا مدٌّ عارض للسكون كما يقول أهل التجويد، ويجوز المد هنا بمقدار حركتين أو أربع أو ستٍّ .

ويلاحظ أن الفواصل كلَّها قد انتهت بالنون في جميع الآيات ما عدا آيتين هما: (حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ ــ تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ) . وحرفا النون والميم فيهما غنة ذاتية تجعل المستمع يَطْرب لسماعهما، وكذلك التالي لكتاب الله ــ عزوجل ــ يطرب لوقوفه على أحد هذين الحرفين في نهاية الكلمات خاصة إذا كانا مسبوقين بحرف من حروف المد (الألف ــ الواو ــ الياء).

والباحث يعيش هذا الوصف يوميا بشكل عملي في أثناء تلاوة القرآن الكريم تعليما للطلاب في الحلقات القرآنية .

والمتأمل في قوله ــ تعالى ــ:" فيهنّ قاصراتُ الطرفِ " يجد سبكا معجميًّا آخر عن طريق ما يسميه البلاغيون" فن الإرداف [وهو] أن يريد المتكلم معنى فلا يعبّر عنه بلفظه الموضوع له بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف؛ والمعنى في الآية: فيهنّ عفيفات قد قصرت عفّتُهنّ طرفَهن على بعولتهنّ، وعدل عن المعنى الخاص إلى لفظ

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٤ / ٦٥٣ .
(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٤٤٥.

الإرداف؛ لأن كلّ من عفّ غضّ الطرف عن الطموح، فقد يمتد نظر الإنسان إلى شيء وتشتهيه نفسه ويعفّ عنه مع القدرة عليه لأمر آخر، وقصر طرف المرأة على بعلها أو قصر طرفها حياء وخَفَرا[1] أو قصر عيني من ينظر إليهنّ عن النظر إلى غيرهنّ أمر زائد على العفّة؛ لأن من لا يطمح طرفها لغير بعلها أو لا يطمح حياء وخفرا فإنها ضرورةً تكون عفيفة، فكل قاصرة الطرف عفيفة وليست كل عفيفة قاصرة الطرف؛ فلذلك عدل عن اللفظ الخاص إلى لفظ الإرداف"[2]. ومن الممكن إدراج هذا تحت المصاحبة المعجمية.

هذا، وهناك إحالة أخرى في النص الكريم في رأيي هي السابك الأكبر لآيات الدراسة كلها، بل هي التي دعت جَنانَ الباحث إلى التعلق بهذا البحث من الأساس؛ ألا وهي الإحالة الموجودة في كلمة (دونهما)، وقد جاءت هنا عن طريق الضمير العائد على الجنتين الأوليين والربط بينهما وبين الجنتين الأخريين، وكذلك عن طريق المقارنة بين هاتين الجنتين الأوليين والأخريين بلفظة (دون) ليبقى الكلام منسبكا في ذهن المتلقي مقارنا بين هذه النعم الموجودة في كلٍّ جنتين .

والمقارنة هنا من خمسة أوجه:

١ ــ الأغصان في الجنتين: (ذواتا أفنان) (مدهامتان) .

٢ ــ المياه فيهما: (فيهما عينان تجريان) (فيهما عينان نضاختان) .

٣ ــ الفاكهة فيهما: (فيهما من كل فاكهة زوجان) (فيهما فاكهة ونخل ورمان).

٤ ــ المجالس فيهما: (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) .

---

(١) الخَفَرُ، بِالتَّحْرِيكِ: شِدَّةُ الْحَيَاءِ؛ تَقُولُ مِنْهُ: خَفِرَ، بِالْكَسْرِ، وخَفِرَتِ المرأةُ خَفَراً وخَفارَةً، الأخيرة عَن ابْن الأعرابي، فَهِيَ خَفِرَةٌ، عَلَى الْفِعْلِ، ومُتَخَفِّرَةٌ وخَفِيرٌ مِنْ نِسْوَةٍ خَفَائِرَ، ومِخْفارٌ عَلَى النَّسَبِ أَو الْكَثْرَةِ؛ قَالَ:دارٌ لِجَمَّاءِ العِظامِ مِخْفار. وتَخَفَّرَتْ: اشْتَدَّ حَيَاؤُهَا. (لسان العرب ٢٥٣/٤) .

(٢) إعراب القرآن وبيانه للدرويش ٩ / ٤١٦ .

٥ ــ الحور فيهما: (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان) (فيهن خيرات حسان، حور مقصورات في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان).

ولم يغفل علماؤنا قديما هذه المقارنة؛ قال أبو حيان: " وَمِنْ دُونِهما: أَيْ مِنْ دُونِ تَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْقَدْرِ، جَنَّتانِ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَالْأُولَيَانِ هُمَا للسَّابِقِينَ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ وَالْأَكْثَرُونَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأُولَيَانِ للسَّابِقِينَ، وَالْأُخْرَيَانِ للتَّابِعِينَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: وَمِنْ دُونِهما فِي الْقُرْبِ للْمُنَعَّمِينَ، وَالْمُؤَخَّرَتَا الذِّكْرِ أَفْضَلُ من الأوليين. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ وَصَفَ عَيْنَيْ هَاتَيْنِ بِالنَّضْخِ، وَتَيْنِكَ بِالْجَرْيِ فَقَطْ، وَهَاتَيْنِ بالدهمة من شدة النِّعْمَةِ، وَتَيْنِكَ بِالْأَفْنَانِ، وَكُلُّ جَنَّةٍ ذَاتُ أَفْنَانٍ. وَرَجَّحَ الزَّمَخْشَرِيُّ هَذَا الْقَوْلَ فَقَالَ: للْمُقَرَّبِينَ جَنَّتَانِ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ادْهَامَّتَا مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ . وَرَجَّحَ غَيْرُهُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ بِذِكْرِ جَرْيِ الْعَيْنَيْنِ وَالنَّضْخِ دُونَ الْجَرْيِ، وَبِقَوْلِهِ فِيهِمَا: مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ، وَفِي الْمُتَأَخِّرَتَيْنِ: فِيهِما فاكِهَةٌ، وَبِالاتِّكَاءِ عَلَى مَا بَطَائِنُهُ مِنْ دِيبَاجٍ وَهُوَ الْفُرُشُ، وَفِي الْمُتَأَخِّرَتَيْنِ الاتِّكَاءُ عَلَى الرَّفْرَفِ، وَهُوَ كِسْرُ الْخِبَاءِ، وَالْفُرُشُ الْمُعَدَّةُ للِاتِّكَاءِ أَفْضَلُ، وَالْعَبْقَرِيُّ: الْوَشْيُ، وَالدِّيبَاجُ أَعْلَى مِنْهُ، وَالْمُشَبَّهُ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ أَفْضَلُ فِي الْوَصْفِ مِنْ خَيْرَاتٍ حِسَانٍ " (١).

والمقارنة هنا في قمة السبك النصي؛ إذ تجعل ذهن المتلقي يربط من دون أن يشعر بين هاتين الجنتين الأوليين واللتين من دونهما .

وواضح في النص السابق أن في قوله ــ تعالى ــ :" دونهما " قولين:" أحدهما ــ ومن دونهما في الدرج. وهذا مذهب ابن عباس، وتأوّل أنّ هاتين الجنتين هما اللتان قال الله ــ جلّ وعزّ ــ فيهما: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) [السجدة:١٧]، والقول الآخر ــ ومن دونهما في الفضل وهذا مذهب ابن زيد"(٢) . والباحث يرتضي المذهب الأخير؛إذ المقارنة بارزة في الآيات التاليات .

---

(١) يراجع: ما جاء بعد ذلك في تفصيل المقارنة وأقوال المفسرين واللغويين فيها في: البحر المحيط لأبي حيان ١٠ / ٥٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٢١٢ .

وقد نسب أبو حيان إلى الزمخشري أنه يقول برأي ابن عباس، وما في كشاف الزمخشري خلاف ذلك؛ إذ يقول:" فإن قلت: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قلت: مدهامّتان، دون ذواتا أفنان. ونضاختان دون: تجريان.وفاكهة دون: كل فاكهة. وكذلك صفة الحور والمتكأ"(١). وقال في موضع آخر:"وَمِنْ دُونِهِما: ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين ــ جَنَّتانِ لمن دونهم من أصحاب اليمين "(٢) .

ويقال في المقارنة أيضا:" قدَ خَصَّ الْأَفْنَانَ بِالذِّكْرِ جَمْعُ فَنَنٍ، وَهِيَ الْغُصُونُ الَّتِي تَتَشَعَّبُ عَنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ؛ لِأَنَّهَا الَّتِي تُورِقُ وَتُثْمِرُ، وَمِنْهَا تَمْتَدُّ الظِّلَالُ، وَمِنْهَا تُجْنَى الثِّمَارُ. وقيل:الْأَفْنَانُ جَمْعُ فَنٍّ؛ وَهِيَ ألوان النعم وأنواعها، وهو قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْأَوَّلُ قَالَ قَرِيبًا مِنْهُ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ، وَهُوَ أَوْلَى؛ لِأَنَّ أَفْعَالًا فِي فَعَلٍ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي فَعْلٍ بِسُكُونِ الْعَيْنِ، وَفَنٌّ يُجْمَعُ عَلَى فُنُونٍ(٣) . وأما الجنتان الأخريان فهما" في غاية المتعة والنضرة والخضرة، ولكنهما دون الجنتين المتقدمتين في الرتبة والفضيلة، فهناك جنتان ذواتا أفنان؛ أي أغصان وأشجار وفواكه، وهنا جنتان خضراوان"(٤) . ولا شك في أن الأفنان لا تعدم الخضرة حتى وإن اختلفت نِسَبُها .

ومما رآه الجَنان في هذه المقارنة قوله ــ سبحانه ــ: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) فهذه الآية تكررت مع الحور العين في الجنتين الأوليين والأدنى منهما؛ لأنه لا يصح أن تكون الحوريات في جنة من الجنات أقل من هذه الناحية ــ الطمث ــ من أخواتهن في جنة أخرى؛ إذ معنى" لَمْ يَطْمِثْهُنَّ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَفْتَضَّهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ. وَقِيلَ: لَمْ يَطَأْهُنَّ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ. كَانَ الْوَطْءُ مِنِ افْتِضَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ "(٥) .

(١) الكشاف ٤/ ٤٥٤ .
(٢) السابق ٤/ ٤٥٣ .
(٣) البحر المحيط ١٠ / ٦٨ .
(٤) التفسير المنير للزحيلي ٢٧ / ٢٣١ .
(٥) البحر المحيط ١٠ / ٦٩ .

وأما المحذوفات في النص الكريم فقد نصت عليها كتب التفسير والإعراب؛ وذلك الآتي:

١ ــ قوله ــ تعالى ــ:" متكئين" ذُكِرَ في السورة مرتين؛ وهو" منصوب على المدح بفعل محذوف، أو حال من قوله: (ولمن خاف) لأن (مَنْ) فيها معنى الجمع، وقيل العامل محذوف؛ أي: يتنعمون متكئين"(١) . فالمحذوف هنا جملة فعلية تعود على أصحاب المحور الثاني من محوري الجملة النواة في النص؛ ألا وهو العاملون وجزاؤهم .

٢ ــ قوله ــ تعالى ــ:(حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ) "(حورٌ) بدل من خيرات؛ لأن (خيرات) فيه وجهان: أحدهما ــ أنه جمع خَيْرَة بوزن فَعْلَة بسكون العين؛ يقال: امرأة خيرة وأخرى شرّة. والثاني أنه جمع خَيْرَة المخفّف من خَيِّرَة بالتشديد؛ ويدل على ذلك قراءة (خَيِّرات) بتشديد الياء. ويجوز لك أن تعرب حورا خبرا لمبتدإ مضمر؛ أي: هنّ حور " (٢) .

والحذف هنا عن طريق الضمير العائد على جزء من ثواب العاملين ـــــ المحور الأول من محوري الجملة النواة ــ وهن الحوريات .

٣ ــ قوله ــ تعالى ــ:(وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) " أي: ولهم من دونهما جنتان، فحذف «لهم» لدلالة الكلام عليه تخفيفا"(٣) .

الحذف هنا للخبر شبه الجملة العائد على العاملين المستحقين للثواب بالجنتين.

وهذه الحذوف لا شك أن لها دورا في تحفيز ذهن المتلقي للبحث عن المحذوف، وعلام يعود ؟ ومن هنا يحدث السبك والانسجام المروم بصورة أخرى وأسلوب جديد أشبه ما يكون بالالتفات.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٩ / ٤١٥ .

(٢) السابق ٩ / ٤٢٠ . قال أبو حيان في البحر ١٠ / ٧٠:"فِيهِنَّ خَيْراتٌ، جَمْعُ خَيْرَةٍ: وَصْفٌ بُنِيَ عَلَى فَعْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَمَا بَنَوْا مِنَ الشَّرِّ فَقَالُوا: شَرَّةٌ. وَقِيلَ: مُخَفَّفٌ مِنْ خَيِّرَةٍ، وَبِهِ قَرَأَ بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ وَأَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ وَابْنُ مِقْسَمٍ؛ أَيْ: بِشَدِّ الْيَاءِ " .

(٣) التفسير المنير ٢٧ / ٢٢٩ .

المطلب الثاني ــ معيار الحبك وتطبيقه على الآيات البينات

الحبك : المقصود بالحبك هنا هو ما يعرف بالنحو الدلالي الذي « يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم؛ مثل: فاعل وحدث وحالة وصفة ... إلخ، من أجل إيجاد معنى كلي للنص »[١].

والترابط المفهومي الذي نتحدث عنه ليس وليد الدراسات النصية والدرس النحوي الحديث بل إن النحاة أدركوا هذا النوع من الترابط ـــ وإن كان على مستوى الجملة ـــ ولنتأمل هذا النص البديع لسيبويه ــ رحمه الله ــ الذي كان يراعي الربط النحوي والربط الدلالي؛ إذ قسم الكلام إلى « مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: (أتيتك أمس، وسآتيك غدا)، وأما المحال فإنْ نُقِض أولُ كلامك بآخره؛ فتقول: (أتيتك غدا، وسآتيك أمس)، وأما المستقيم الكذب فتقول: (حملت الجبل، وشربت ماء البحر) ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه؛ نحو قولك: (قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك) وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر أمس)»[٢].

وإذا كان سبك النص يعتمد على متتالية من الجمل، تربط بينها أدوات ووسائل لغوية، فإن الحبك: « يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيًا واستيعابًا، وبها يتم احتباك المفاهيم من خلال قيام العلاقات أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحة مستعلنة على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا ويتعلق بواسطته بعضها ببعض» [٣].

ويشتمل الحبك على عدة أمور هي:

«١. العناصر المنطقية: كالسببية والعموم والخصوص.

---

(١) نحو النص نظرية وتطبيق ؛ ص ٧٧ .
(٢) الكتاب: ١/٨.
(٣) في البلاغة العربية؛ د/ سعد مصلوح ص ٢٢٨ ، نحو النص نظرية وتطبيق ص ٧٦ .

٢. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم » [١].

وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن مراعاة المفاهيم والعلاقات والمعرفة السابقة بين الجمل، كعلاقة السبب والنتيجة، وعلاقة الشبيه والنقيض، وهو يرى أن قول القائل: (زيد طويل القامة وعمرو شاعر) « كان خَلْفًا؛ لأنه لا مشاكلةَ ولا تعلُّقَ بين طول القامة وبين الشعر، و إنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب وعمرو شاعر) و(زيد طويل القامة وعمرو قصير)، وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقا لمعنى في الأخرى ومضامّا له؛ مثل أن (زيدا) و(عمرا) إذا كانا أخوين أونظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك ـــ مضمومةً في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك»[٢].

والمعاني في ذلك كالأشخاص؛ مثل: (العلم حسن والجهل قبيح) «لأنّ كون العلم حسنًا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحًا»[٣].

وقد تطرق الزركشي[٤] عند حديثه عن المناسبة بين الآيات إلى كثير من هذه العلاقات والروابط؛ إذ قسم ارتباط الآي بعضها ببعض على قسمين:

الأول ــ «أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأُولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد».

الثاني ــ أن لا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به .

---

(١) النص والخطاب والإجراء؛ ص ١٠٣.
(٢) دلائل الإعجاز ١ / ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه ١ / ٢٢٦.
(٤) البرهان: ١ /٦٦،٦٧ .

وبالتأمل في النص الكريم محل الدراسة نجد معيار الحبك فيه يكاد ينطق بوجوده، ليس هذا لأنه نص قرآنيٌّ معجز " لَا يأتِيه الباطلُ من بينِ يديه ولا من خَلْفِه " فحسب، ولكن بالدليل النصي القاطع، وليس الحبك هنا بين الآيات البينات محل الدراسة فقط بل بينها وبين بقية آيات السورة كاملة، وبين سورة الرحمن والسورة التي قبلها والتي بعدها؛ وذلك الآتي:

" لما ختم ــ سبحانه ــ سورة القمر بعظيم المُلك وبليغ القدرة، وكان الملك القادر لا يكمل ملكه إلا بالرحمة، وكانت رحمته لا تتم إلا بعمومها، قصر هذه السورة ــ الرحمن ــ على تعداد نعمه على خلقه في الدارين، وذلك من آثار المُلك، وفصَّل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء والأعداء في الآخرة، وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال، وموازنة لما حصل بالمُلك والاقتدار من غاية التبرك والظهور والهيبة والرعب باسمٍ هو ــ مع أنه في غاية الغيب ــ دال على أعظم الرجاء مفتتحًا لها بأعظم النعم؛ وهو تعليم الذكر الذي هز ذوي الهمم العالية في القمر إلى الإقبال عليه بقوله: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" ؛ لأنه لما كان للعظمة الدالة عليها نون "يسرنا" التي هي عماد الملك ــ نظران: نظر الكبرياء والجبروت؛ يقتضي أن يتكلم بما يُعجِز خلقَه من كل جهة في الفهم والحفظ والإتيان بمثله وكل معنى من معانيه. ونظر الإكرام والرحمة، وكانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقه لا سيما هذه الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقًا للرحمة بعد أن أبقى من آثار الجبروت الإعجاز عن النظر... فقال جوابًا لمن كأنه قال: من هذا المليك المقتدر؟ فقيل: (الرحمن) أي: العامُّ الرحمةِ، قال ابن بَرَّجان[1]: وهو ظاهر اسمه (الله)، وباطن اسمه (الرب)، جعل هذه الأسماء الثلاثة في ظهورها مقام الذات يخبر بها عنه وحجابًا

(١) هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، كان عبدا صالحا، وله تفسير القرآن العظيم، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات، وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مَرَّاكُش ــ رحمه الله تعالى ــ.
وبرجان: بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعد الألف نون. (ينظر: وَفيات الأعيان ٤ / ٢٣٦).

بينه وبين خلقه، يوصل بها الخطاب منه إليهم، ثم أسماؤه الظاهرة مبينةٌ لهذه الأسماء الثلاثة – انتهى.

ومن مقتضى اسمه (الرحمن) انبثت جميع النعم؛ ولذا ذكر في هذه السورة أمهات النعم في الدارين " [1].

وأيضا الحبك واضح بين سورة الرحمن وسورة الواقعة التي بعدها؛ إذ مقصود هذه السورة " شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن للأولياء من السابقين واللاحقين والأعداء المشاققين من المصارحين والمنافقين من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذي دل عليه آخر الرحمن بإثبات الكمال، ودل عليه آخر هذه [سورة الواقعة] بالتنزيه بالنفي لكل شيء به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال والجلال، ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة، فإن استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة "[2] .

وأما عن الحبك الموجود بين آيات الدراسة وما قبلها من بقية آيات السورة الكريمة؛ فمما يقال فيه:" لما كان قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم، وقدمه لما اقتضاه مقام التكبر من الترهيب وجعله سبعًا إشارة إلى أبواب النار السبعة، عطف عليه ما للخائف الذي أداه خوفه إلى الطاعة وجعله ثمانية على عدد أبواب الجنة الثمانية؛ فقال: (ولمن) أي ولكل من، ووحد الضمير مراعاة للفظ (مَنْ) إشارة إلى قلة الخائفين (خاف) أي من الثقلين "[3] .

وأما الحبك بين الآيات محل الدراسة ــ وهو أحد مطالب البحث المباشرة ــ فيقال فيه:" لما كان ذكرُ الخوفِ من الزمان المضروب للحساب والتدبير والمكان المعد لهما أبلغَ من ذكر الخوف من الملك المحاسب المدبر، والخوفُ مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر أوصاف الجلال؛ قال دالًّا بذلك على أن المذكور رأس الخائفين: (مقام ربه) أي مكان قيامه الذي يقيمه وغيره فيه المحسن إليه للحكم وزمانه الذي ضربه له وقيامه عليه وعلى غيره بالتدبير،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩ / ١٣٩ .
(٢) السابق ١٩ / ١٩٥ .
(٣) السابق ١٩ / ١٧٩ .

فهو رقيب عليه وعليهم، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك لهذا ما يغضبه وفعل ما يرضيه (جنَّتان) عن يمين وشمال، واحدة للعلم والعقل وأخرى للعمل، ويمكن أن يراد بالتثنية المبالغة إفهامًا؛ لأنها جنان متكررة ومتكثرة ... ولما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع والألوان والفروع المشتبكة والأغصان؛ قال واصفًا لهما: (ذواتا) أي: صاحبتا... ولما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال: (فيهما عينان) أي في كل واحدة عين (تجريان) أي: في كل مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها... ولما كان بالمياه حياة النبات وزكاؤه؛ قال ذاكرًا أفضل النبات: (فيهما) أي: هاتين الجنتين العاليتين، ودل على جميع كل ما يعلم وزيادة بقوله: (من كل فاكهة) أي: تعلمونها أو لا تعلمونها (زوجان) أي: صنفان يَكْمُلُ أحدُهما بالآخر كما لا يدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يُرضِي والآخر بالانتهاء عما يُسخِط ... ولما كان التفكه لا يكمل حسنه إلا مع التنعم من طيب الفرش وغيره، قال مخبرًا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبيلي الإنس والجن مراعيًا معنى (مَنْ) بعد مراعاة لفظها تحقيقًا للواقع: (متكئين) أي لهم ما ذكر في حال الاتكاء وهو التمكين بهيئة المتربع أو غيره من الكون على جنب ... وهو يدل على تمام التنعم بصحة الجسم وفراغ البال (على فرش) وعظمها بقوله مخاطبًا للمكلفين بما تحتمل عقولهم ـــ وإلا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شيء من الدنيا ـــ: (بطائنها) أي: فما ظنك بظواهرها ووجوهها (من إستبرق) وهو ثخين الديباج يوجد فيه من حسنه بريق كأنه من شدة لمعانه يطلب إيجاده حتى كأنه نور مجرد.

ولما كان المتكىء قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال: (وجنى الجنتين) أي: مَجْنِيُّهما اسم بمعنى المفعول؛ كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذي هو الاجتناء (دان) أي: قريب من كل من يريده من متكئ وغيره لا يخرج إلى صعود شجرة، وموجود من كل حين يراد غير مقطوع ولا ممنوع ... ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته إلا بالنسوان الحسان؛ قال دالًّا على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذي هو أولى من التثنية بالدلالة على أن في كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظيم اللذة وفرط الأنس: (فيهن) أي الجنان التي علم مما

مضى أن لكل فرد من الخائفين منها جنتين... (قاصرات الطرف) أي: نساء مخدرات هن في وجوب الستر بحيث يظن من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن وهممهن على أزواجهن، ولهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزاء لهم على قَصْرِ هممِهم في الدنيا على ربهم.

ولما كان الاختصاص بالشيء لا سيما المرأة من أعظم الملذات قال: (لم يطمثهن) أي: يجامعهن ويتسلط عليهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات أو غير ذلك ... ولما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة والنفاسة، زاده على وجهٍ أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبههن به؛ فقال: (كأنهن الياقوت) الذي هو في صفاته بحيث يشف عن سلكه وهو جوهر معروف ... (والمرجان) في بياضه، وصغار الدر أنصع بياضًا ... وقد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض والحمرة على نوع من الإشراب هو في غاية الإعجاب من الشفوف والصفاء، وهو مع ذلك ثابت لا يعتريه تغير ... ولما كان ألذ ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه، قال سارًّا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لا سيما والمادح الملك الأعلى، معظمًا له بسياق الاستفهام المفيد للإثبات بعد النفي المفيد للاختصاص على وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك: (هل جزاء الإحسان) ... ولما كان قد عُلِمَ مما ذكر أولَ هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام، وآخرَه من ذكر الإحسان ــ أن هذا الفريق محسنون، وكان من المعلوم أن العاملين طبقات، وأن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها، اقتضى الحال بيان ما أُعِدَّ لمن دونهم: (ومن دونهما) أي: من أدنى مكان، رتبة مما تحت جنتي هؤلاء المحسنين المقربين (جنتان) أي: لكل واحد لمن دون هؤلاء المحسنين من الخائفين وهم أصحاب اليمين...

ولما كان ما في هاتين من الماء دون ما في الباقيتين، فكان ربما ظُنَّ أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال: (مدهامتان) أي: خضراوان خضرة تضرب من شدة الري إلى السواد، من الدُّهْمَة...

ولما كان ذكر ما يدل على ريهما، حققه بقوله: (فيهما) أي: في كل جنة لكل شخص منهم (عينان نضاختان) أي تفوران بشدة توجب لهما رشاش الماء بحيث لا ينقطع ذلك... ولما ذكر الري والسبب فيه، ذكر ما ينشأ عنه فقال: (فيهما فاكهة) أي: من كل الفاكهة، وخص أشرفها وأكثرها وجدانًا في الخريف والشتاء كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالًا لهاتين الجنتين فقال: (ونخل ورمان) فإن كلًّا منهما فاكهة وإدام؛ فلذا خُصّا تشريفًا وتنبيهًا على ما فيهما من التفكه وأولاهما أعم نفعًا وأعجب خلقًا ... ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته إلا بالأنيس، وكان قد ورد أنه يكون في بعض ثمار الجنة وحمل أشجارها نساء وولدان ... قال جامعًا على نحو ما مضى من الإشارة إلى أن الجنتين لكل واحد من أفراد هذا الصنف: (فيهن) أي: الجنان الأربع أو الجنان التي خصت للنساء ... (خيرات) أي: نساء بليغ ما فيهن من الخير... (حسان) أي: في غاية الجمال خلقًا وخلقًا... ثم بينهن بقوله: (حور) أي: ذوات أعين شديدة سواد السواد وشديدة بياض البياض ... (مقصورات) أي: على أزواجهن ومحبوسات، صيانة عن التبذل، فهو كناية عن عظمتهن (في الخيام) التي هي من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن[حرمات] الله فكف جوارحه عن الزلات، وصان قلبه عن الغفلات ... ولما كانت أنفس الأخيار ذوي الهمم العالية الكبار في الالتفات إلى الأبكار قال: (لم يطمثهن) أي: يتسلط عليهن نوع سلطة (إنس) ...(ولا جان) فهن في غاية الاختصاص كل بما عنده ... وهذه النعمة الدالة على الراحة الدائمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب منه ولا أشرف؛ فقال ــ تعالى ــ مبينًا حال المحسنين ومَنْ دُونَهم مشركًا لهم في الراحة على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: (متكئين) أي: لهم ذلك في حال الاتكاء ديدنًا؛ لأنهم لا شغل لهم بوجه إلا التمتع (على رفرف) أي: ثياب ناعمة، وفرش رقيقة النسج من الديباج، لينة، ووسائد عظيمة، ورياض باهرة، وبسط لها أطراف فاضلة ...

ولما كان الأخضر أحسن الألوان وأبهجها قال: (خضر وعبقري) أي: متاع كامل من البسط وغيرها هو في كماله وغرابته كأنه من عمل الجن لنسبته إلى

بلدهم، قال في القاموس[1]: عبقر موضع كثير الجن، وقرية بناؤها في غاية الحسن، والعبقري الكامل من كل شيء، والسيد والذي ليس فوقه شيء... ولما كان المراد به الجنس، دل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد إشارة إلى وحدة تكامله بالحسن؛ فقال: (حسان)أي: هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف ... ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال، ودل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها؛ لأنه مع أن له الكمال كله متعالٍ عن شائبة نقص، فكانت ترجمةُ ذلك قولهَ في ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرًا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، وهذا بما من البركة إشارة إلى أن نعمه لا انقضاء لها: (تبارك) ... ومعناه: ثبت ثباتًا لا يسع العقول جمع وصفه لكونه على صيغه المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته،وذلك مع اليمن والبركة والإحسان.

ولما كان تعظيم الاسم أقعدَ وأبلغَ في تعظيم المسمى؛ قال: (اسم ربك) أي: المحسن إليك بإنزال هذا القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهرًا له وصار خُلُقًا لك؛ فصار إحسانه إليك فوق الوصف؛ ولذلك قال واصفًا للرب في قراءة الجمهور: (ذي الجلال) أي: العظمة الباهرة؛ فهو المنتقم من الأعداء. (والإكرام) أي: الإحسان الذي لا يمكن الإحاطة به؛ فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضي لفيض الرحمة على جميع الأولياء، وقراءة ابن عامر (ذو) صفة للاسم، وكذا هو في مصاحف أهل الشام، والوصفان الأخيران من شبه الاحتباك حذف من الأول متعلق الصفة وهو النقمة للأعداء، ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأولياء، فإثبات الصفة أولًا يدل على حذف ضدها ثانيًا، وإثبات الفعل ثانيًا يدل على حذف ضده أولًا، وقال الرازي في اللوامع: كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم، فيشمل الإكرامَ بتعليم القرآن وغيره، والانتقامَ بإدخال النيران وغيرها "[2] .

---

(١) ١ / ٤٣٥ .

(٢) السابق ١٩ / ١٧٩ ، وما بعدها بتصرف كثير . وتراجع القراءة في (ذي الجلال) في: السبعة لابن مجاهد؛ ص ٦٢١ .

من هذا الكلام النفيس يفوح الحبك بين الآيات البينات عطرًا أقربَ ما يكون إلى ذلك العطر الذي يستشعر الجَنانُ ريحَه من الجِنانِ المذكورة في الآيات، والتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ لدرجة أن الآيات الكريمات يأخذ بعضها بأعناق بعض، فى تعاطف، وتآلف، من غير أن يدخل بينها عاطف صناعى يشى بهذا السر الذي بينها، ويتسمع إلى هذه المناجاة الودود، بين الأحباء والأصفياء.

المطلب الثالث ــ معيار القصدية وتطبيقه على الآيات البينات

القصدية: من أوضح التعريفات التي وجدتُها لها أنها «جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها»(١).

وللإمام عبدالقاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ إسهام بديع في القصدية؛ إذ يقول: «لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى الصورة وصنعةٌ، إن لم يُقَدَّم فيه ما قُدِّمَ ولم يُؤخَّر ما أُخِّر، وبُدئ بالذي ثُنِّي به أو ثني بالذي ثلث به ـــ لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة، وإذا كان كذلك فينبغي أن يُنظَر إلى الذي يَقصِدِ واضعُ الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة: أفي الألفاظ يحصل له ذلك أم من معاني الألفاظ ؟ وليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أن ليس ذلك في الألفاظ»(٢).

فلْيُتَأمَّلْ قوله:"ينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة".

ورأى ابن عاشور أن مقاصد القرآن أمران:

الأول: «كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين»(٣).

الثاني: «تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة – في كل زمان – لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع.... ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة»(٤).

---

(١) ينظر: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، (١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م) ص ٢٨ .
(٢) دلائل الإعجاز ١/ ٣٦٤.
(٣) التحرير والتنوير ١٥٨/٢.
(٤) المصدر السابق نفسه .

والآيات الجليلات محل الدراسة قصديتها واضحة؛ فهي تعود إلى المحورين الرئيسين اللذين ذُكرا في السبك؛ وهما العمل والجزاء الذي من جنسه، وهذا جزء من قصدية سورة الرحمن كاملةً؛ يقول البقاعي:" مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة القمر من عظيم الملك وتمام الاقتدار بعموم رحمته وسبقها لغضبه، المدلول عليه بكمال علمه، اللازم عنه شمول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته في أسلوب التذكير بنعمائه، والامتنان بجزيل آلائه، على وجه منتج للعلم بإحاطته بجميع أوصاف الكمال، فمقصودها بالذات إثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبا في إنعامه وإحسانه، وترهيبا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه، وعلى ذلك دل اسمها الرحمن؛ لأنه العام الامتنان واسمها عروس[1] القرآن واضح البيان في ذلك؛ لأنها الحاوية لما فيه من حلى وحلل، وجواهر وكلل، والعروس بجميع النعم والجمال، والبهجة من نوعها والكمال. بسم الله (الذي ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته) الرحمن (الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعاته واشتهر من عظيم آياته وبيناته) الرحيم (الذي ظهر اختصاصه لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عبادته "[2] .

(١) لم تتفق كلمة المحدثين حول هذه التسمية؛ قال الألباني ـــ رحمه الله ـــــ:"منكر: أورده السيوطي في " الجامع الصغير " من رواية البيهقي في " شعب الإيمان "وكذا في " المشكاة " (٢١٨٠) وقد كشف عن علته المناوي فقال في (الفيض):"وفيه أحمد بن الحسن (دبيس) عده الذهبي في " الضعفاء والمتروكين ".وقال الدارقطني: ليس بثقة ".قلت: وترجمه الخطيب في " تاريخه " (٨٨/٤) وقال:" وكان منكر الحديث.. قرأت بخط الدارقطني.. ليس بثقة (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ٣ / ٣٢٦) .

(٢) التحرير والتنوير ١٥٨/٢.

المطلب الرابع ــ معيار المقبولية وتطبيقه على الآيات البينات

المقبولية: يتعلق هذا المعيار بـــ «موقف المتلقي من قبول النص»[١]، فـــ «هو يتضمن مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغـــي لهـــا أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»[٢]. مما يعني أن هذا المعيـــار يتوقف أيضاً على قوة التماسك والترابط للمعيارين (السبك والحبك). إذ تعمل هذه المعايير «متضافرة للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني، وهي إيصال أفكاره فيما يتعلق بجوانب العقيدة وتثبيتها، وجوانب أخرى تتعلق بالأمور الحياتية / الاجتماعية، وقضايا أخرى مهمة اجتمعت فيه.... كل ذلـــك للوصـــول بأفكـــاره وتصوراته إلى المتلقي. ويترتب على هذه الرؤية أن المتلقي / المســـتمع حـــين يسمع القرآن لا ينكره، وفي موقف الوليد بن المغيرة وكفار قريش حين نزولـــه دليل على ذلك»[٣].

وعلى ذلك لا يمكننا التشكك في هذا المصطلح وتطبيقه على القرآن الكريم؛ لأن القرآن نزل للناس كافة مؤمنهم وكافرهم .

ورأى الدكتور سعد مصلوح أن لهذا المعيار بعدًا ووجهاتٍ ثقافيةً واجتماعيةً «ويتصل بتحديد موقف المتلقي من الكلام، ومدى تقبله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنها نص قابل لأن يوصف بالسبك والحبك، وأن له نوعًا من الجدوى بالنسبة للمتلقي، كأن يكتسب معرفة أو يتبنى موقفًا، أو يسهم باستجابة لإنجاز خطة»[٤].

وينظر علماء النص إلى معنى أوسع لهذا المعيار ينـــدرج تحـــت مصـــطلح المقبولية هو القبول «باعتباره رغبة نشطة للمشاركة فـــي المقـــال ومشـــاطرة الهدف، وبهذا يكون القبول حدثاً قائما بذاته، وهو يتضمن الدخول فـــي التفاعـــل المقالي مع كل ما ينطوي عليه ذلك من نتائج»[٥] .

---

(١) نظم الدرر ١٩ / ١٣٩ .
(٢) النص والخطاب والإجراء ؛ ص ١٠٤.
(٣) الدرس النحوي النصي ؛ ١٥٨ .
(٤) في اللسانيات العربية المعاصرة ؛ ٢٥٠.
(٥) مدخل إلى علم لغة النص؛ ص ١٧٨ ، نحو النص نظرية وتطبيق؛ ص ١٠٣ .

فالمقبولية إذن معيارٌ لحمه ودمه المتلقي للنص، ولو حاولنا تطبيق ما ذُكِرَ نظريًّا من معيار المقبولية، بعد أن بينَّا ما في تلك الآيات المعجزات من سبك وحبك وانسجام ــ فإننا نجد الآيات البينات محل الدراسة منذ البداية تضع هذا التشويق الداعي إلى تحدي النفس والانتصار عليها (ولمن خاف مقام ربه جنتان)؛ مما يدعو المتلقي إلى تحديد موقفه: هل يود أن يكون من هذا الفريق الفائز أو لا ؟! فيضع لنفسه خطة إيمانية تعبدية يصل بها في نهاية حياته القصيرة إلى الفوز بالنعم التي صنعها الله ــ عز وجل ــ في الجنة لعباده الخائفين .

ثم إن الآيات الكريمات تحتوي على هذه الآية التي أصبح القلب يشتاق إلى الاستماع إليها قبل الأذن (فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان) وهي خطاب متكرر للمتلقي من الجن والإنس، وقد سبق[1] حديث عن سر هذا التكرار، ولكن هنا في مقام المقبولية للآية عبق آخر تفوح به؛ إذ إن المولى ـــ تعالى ـــ يرصد إقرارا من المتلقين جنًّا وإنسًا بأنه ــ سبحانه ــ صاحب الفضل والمنة والنعمة؛ وإلا " فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ "؛ ويظهر هذا الإقرار في بيان النبي ــ ﷺ ــ حين قال للصحابة عن سورة الرحمن:" لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ؛ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ؛ فَلَكَ الحَمْدُ "[2] .

وهذا قمة المقبولية بالنسبة للنص ومحتواه .

وقد تلقت فئة المفسرين والمعربين النص بوجهات مختلفة لا سيما في حقيقة (الواو) التي صُدِّرَت بها الآيات الجليلات محل الدراسة؛ فمنهم من رآها عاطفة، ومنهم من رآها استئنافية[3]؛ فإذا كانت عاطفة فإنها تربط في الصورة بين مصير أهل الإجرام ومصير الذين خافوا مقام ربهم ــ عز وجل ــ وهي علاقة

---

(١) في أثناء التطبيق على معيار السبك .

(٢) سنن الترمذي؛ حديث رقم ٣٢٩١ ، وقد حسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١ / ٢٧٢ .

(٣) من أهل الإعراب من جعل (الواو) هنا استئنافية (ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٧ / ١٠١، وإعراب القرآن للدعاس ٣ / ٢٩٤) . ومنهم من جعلها عاطفة (ينظر: التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٤ ، وإعراب القرآن وبيانه ٩ / ٤١٥) .

قبلية ترجع إلى المعطوف عليه، وما يترتب على ذلك من مقارنات بين الحال في جهنم ــ أعاذنا الله منها ــ والحال في الجنة ــ جعلنا الله من أهلها .

وأما على كون الواو استئنافية؛ فهذا يوحي بالانتقال التام من الصورة المخيفة في جهنم إلى صورة جديدة بديعة يرجوها كل إنسان؛ وهي صورة الجنة وصفاتها، وهذا أسلوب قرآني معتاد في ذكر الثواب والعقاب في السورة الواحدة، بل إننا نجد ذلك حتى في بعض السور الصغرى كما في سورة القارعة .

وعلى وجه الإجمال الآيات البينات فيها هذا السمت القرآني الذي له" صَنِيعُهُ بِالْقُلُوبِ وَتَأْثِيرُهُ فِي النُّفُوسِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ كَلَامًا غَيْرَ الْقُرْآنِ مَنْظُومًا وَلَا مَنْثُورًا إذَا قَرَعَ السَّمْعَ خَلَصَ منه إلَى الْقَلْبِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ فِي حَالٍ، وَمِنَ الرَّوْعَةِ وَالْمَهَابَةِ فِي حَالٍ أُخْرَى ــ مَا يَخْلُصُ مِنْهُ إلَيْهِ؛ قَالَ اللَّهُ ــ تَعَالَى ــ: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا من خشية). وَقَالَ ــ تَعَالَى ــ: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ ربهم).

... وَلِهَذَا أَسْلَمَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ لَمَّا سَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ــ ﷺ ــ للطُّورِ حَتَّى انْتَهَى إلَى قَوْلِهِ: (إنَّ عَذَابَ ربك لواقع) قَالَ: خَشِيتُ أَنْ يُدْرِكَنِي الْعَذَابُ ، وَفِي لَفْظٍ: كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ فَأَسْلَمَ. وَفِي أَثَرٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ لَمَّا سَمِعَ سُورَةَ طه أَسْلَمَ"(١).

(١) البرهان للزركشي ٢ / ١٠٦ .

المطلب الخامس ــ معيار التناصيَّة وتطبيقه على الآيات البينات

التناصية: لهذا المصطلح تعريفات كثيرة عند الباحثين الغربيين والعرب، ولكن من أقربها إلى البحث الذي بين أيدينا هو تعريف الدكتور/ تمام حسان القائل عن التناص: « هو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: (القرآن يفسر بعضه بعضًا)»[١].

والتناص بهذا المعنى مطروق لدى أفذاذنا القدماء؛ فقد ذكره الزركشي وسمّاه (الاقتصاص) وقال: « ذكره أبو الحسين بن فارس، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصًّا من كلام في سورة أخرى أو في السورة نفسها، ومثّله بقوله ـــ تعالى ـــ: "وآتيناه أَجرَه في الدنيا وإنه في الآخرةِ لمنَ الصالحينَ" [٢] والآخرة دار ثواب لا عمل فيها؛ فهذا مقتصٌّ من قوله ــ تعالى ـــ: "ومن يأتهِ مؤمنًا قد عمل الصالحاتِ فأولئك لهمُ الدرجاتُ العُلَى"[٣] ... فأما قوله ــ تعالى ـــ: "ويوم يقوم الأشهاد"[٤] فيقال: إنها مقتصة من أَربع آيات؛ لأَن الأَشهاد أَربعة: الملائكة ــ عليهم السلام ــ في قوله ــ تعالى ـــ: "وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد"[٥]، والأنبياء ــ عليهم السلام ــ لقوله ــ تعالى ـــ: "فكيف إذا جئنا من كلّ أُمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا"[٦] وأُمة محمد ــ ﷺ ــ لقوله ــ تعالى ـــ:"وكذلك جعلناكم أُمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس"[٧]، والأَعضاء لقوله ــ تعالى ـــ: "يوم تشهد عليهم أَلسنتُهم وأَيديهم وأَرجلُهم بما كانوا يعملون" [٨]»[٩]. وأَطلق عليه السيوطي مصطلح (الاقتناص)[١٠].

---

(١) نحو الجملة ونحو النص ؛ ص ٢.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.
(٣) سورة طه: الآية ٨٥.
(٤) سورة غافر: الآية ٥١.
(٥) سورة ق: الآية ٢١.
(٦) سورة النساء: الآية ٤١.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٨) سورة النور: الآية ٢٤.
(٩) البرهان:٢٩٧/١ ــ ٢٩٨.
(١٠) معترك الأقران: ٢٩٧/١ ، نحو النص نظرية وتطبيق ؛ ص ١١٤ بتصرف .

ولو أردنا تطبيق هذا المعيار على الآيات البينات محل الدراسة لم نحتج لذلك جهدا كبيرا؛ إذ إنها آيات تحمل مقصدا مهما من مقاصد القرآن المتكررة فيه؛ ألا وهو التعريف بأحوال المطيعين ووعد الله لهم؛ قال السيوطي:" قال الغزالي في "خواص القرآن": مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة تتمة:

الأولى: تعريف المدعو إليه،...وتعريف الصراط المستقيم،...وتعريف الحال عند الرجوع إليه ــ تعالى ــ، وهو الآخرة ... والأخرى: تعريف أحوال المطيعين،كما أشار إليه بقوله: (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، وحكاية أقوال الجاحدين، ... وتعريف منازل الطريق " [1]. والتناص في آيات الدراسة الكريمة على النحو الآتي:

١ ــ قوله ــ سبحانه ــ:" ولمن خاف مقام ربه جنتان " يتناص مع قوله ــ تعالى ــ:" وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى "[2] .

٢ ــ قوله ــ تعالى ــ:" متكئينَ على فُرُشٍ بطائنُها مِنْ إستبرقٍ وجنَى الجنتين دانٍ " " متكئينَ على رفرفٍ خُضْرٍ وعبقريٍّ حِسانٍ" ؛ قال الشنقيطي:" وَأَمَّا مَا يَتَّكِئُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْفُرُشِ وَالسُّرُرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ كَقَوْلِهِ ــ تَعَالَى ــ: (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ).وَقَوْلِهِ: (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) [3] وَقَوْلِهِ:(عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ)[4] وَقَوْلِهِ ــ تَعَالَى ــ:(إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)[5]. وَقَوْلِهِ ــ تَعَالَى ــ: (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ)[6] وَقَوْلِهِ:(مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ)"[7].

---

(١) أسرار ترتيب القرآن؛ ص ٥١ بتصرف كثير .
(٢) سورة النازعات:الآيتان ٤٠ ، ٤١ .
(٣) سورة يس: الآية ٥٦ .
(٤) سورة الواقعة: الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(٥) سورة الحجر: من الآية ٤٧ .
(٦) سورة الغاشية: الآية ١٣ .
(٧) أضواء البيان ٧ / ١٤٥ .

٣ ــ قوله ــ تعالى ــ:"فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَــانٌّ"؛ قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ:"(فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَــمْ يَطْمِــثْهُنَّ إِنْــسٌ قَــبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ)[١] وصفهن ــ سبحانه ــ بقصر في ثلاثة مواضع. أحدها: هذا.

والثاني: قوله ــ تعالى ــ في الصافات[٢]:(وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ).

والثالث: قوله ــ تعالى ــ في ص:(وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ) [٣] " [٤].

٤ ــ قَوْلِهِ ــ تعالى ــ: "كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ" يتناصُّ مع قوله ــ تعالى ــ: "وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"[٥] .

٥ ــ قوله ــ تعالى ــ:" هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ " يتناص مع غير آية من آيات الذكر الحكيم؛ مثــل قولــه ــ ســبحانه ــ: (لِلَّــذِينَ أَحْسَــنُوا الْحُسْــنَى وَزِيَــادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ)[٦].(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ)[٧].

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا)[٨]. (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) [٩] .

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٥٦ .
(٢) سورة الصافات: الآية ٤٨ .
(٣) سورة ص: الآية ٥٢ .
(٤) تفسير القرآن الكريم ؛لابن القيم ١ / ٥٠٣ .
(٥) سورة الواقعة: الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٦) سورة يونس: من الآية ٢٦ .
(٧) سورة النحل: من الآية ٣٠ .
(٨) سورة سورة القصص: من الآية ٨٤ .
(٩) سورة النجم: من الآية ٣١ .

المطلب السادس ــ معيار المقاميَّة وتطبيقه على الآيات البينات

المقاميَّة: هي العوامل «التي تجعل النص مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أُمور تخضع للإدراك المباشر ...»(١).

قال الدكتور تمام حسان في صدد هذا المعيار: «ومن رعاية الموقف أنه لا يجوز الكلام أثناء الصلاة إلا بقراءة الفاتحة والسورة، وتفهّم السبب في امتناع أن يعزي أحدنا الآخر وهو يبتسم، وامتناع أن يغني الطالب أثناء الدرس، وامتناع فهم قوله ــ تعالى ــ: "ودع أذاهم" على إضافة اسم المصدر إلى مفعوله؛ لأن السيرة المطهرة تقول: إنهم هم الذين كانوا يؤذونه، فرعاية هذا الموقف الذي حفظته السيرة تجعل الإضافة إلى الفاعل»(٢).

وقد حظي هذا المعيار باهتمام كبير لدى علمائنا قديما خاصة البلاغيين؛ فلا يكاد يخلو كتاب بلاغي من شعارات تتصل به؛ من مثل: (لكل مقام مقال) و(مراعاة مقتضى الحال) .

والآيات البينات التي ندرسها في هذا المقام مقامها تشويقي تحفيزي، يدعو إلى علو الهمة وإيثار الآخرة التي هي خير بجناتها وأبقى بخيراتها على الدنيا الفانية.

ولذا فإنها جاءت صريحة ومباشرة في ذكر الجزاء بأسلوب قرآني معجز بديع؛ متمثل في وصف الجنات، والفواصل الماتعة، وتكرار التحدي المفهوم من قوله ــ تعالى ــ:" فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبانِ" .

وهي كبقية آيات القرآن الكريم الذي هو "بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعْلَمُ عجزُ الخلق عنه " (٣).

---

(١) النص والخطاب والإجراء: ٤٥٦.
(٢) نحو الجملة ونحو النص؛ ص ٢ ، والآية الكريمة ٤٨ من سورة الأحزاب .
(٣) إعجاز القرآن للباقلاني؛ ص ٣٥ .

المطلب السابع ــ معيار الإعلامية وتطبيقه على الآيات البينات

الإعلامية: وهي" تتعلق باستقبال الكلام على أنه نص ذو محتوى كما يتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدة وبمدى توقعه لطريقة العرض"(١).

وهنا تبرز أهمية إرادة الكشف عن الاحتمالات الاتصالية، وذلك بتقسيم التوقعات وتدريجها على ما يأتي(٢):

١. «المعلومات المختزنة والتجربة الوقائعية تجعل الناس يرون العالم بطريقة معينة؛ إذ يسمى النموذج السائد هنا: (العالم الواقعي) الذي يعدّ ما صدق فيه من قبيل (الحقائق) مثل المعتقدات السائدة. وبعض الحقائق والمعتقدات من قوة الثبات لدرجة عدم الحاجة إلى تعويضات؛ ككون الأسباب لها نتائج... فإذا كان هناك نص تبطل فيه هذه الحقائق كالخرافة مثلا فلا بد أن يتقدم بقرائن محددة في المواقف المعينة تؤدي دور توجيهات لمستقبلي النص بأن يجروا تعديلات على توقعاتهم لئلا يصبح النص مشكلًا »(٣).

٢. «توقعات الرصف اللغوي؛ إذ يتوقع الناس في العربية مثلًا: عدم التقاء الساكنين، وبناء الجملة بترتيب معين ... إلخ، فإذا اختل التوقع تعثرت الاستجابة في الاستعمالات، وتختلف التوقعات في الرصف في اللغة العلمية عنها في الشعر الحديث»(٤).

٣. « ينشأ عن الموقف المباشر عند حدوث النص أو عند استعماله؛ ومن هنا يمكن لصياغة الاستعمال أن توجد مدى للتوقعات قد يختلف تمامًا عن

---

(١) في اللسانيات العربية المعاصرة ؛ ص ٢٢٣ .
(٢) نحو النص نظرية وتطبيق ؛ ص ١٢٤ وما بعدها .
(٣) النص والخطاب والإجراء: ٢٥٧.
(٤) المصدر نفسه، مقدمة المترجم؛ ص ٢٦.

النظم الافتراضية؛ ويتضح ذلك بظاهرة خصوصية الأسلوب الذي هو انتقاء فردي للبدائل وتخطيطها من بين النظم المشاركة في نص ما»[١].

إن الخروج عن المألوف في النص يولد تحديًا مثيرًا لمستقبلي النص؛ إذ يأخذ منحى الجدة وعدم التوقع، ويبرز في أنواع؛ مثل:

أ. التركيب النحوي من خلال متتاليات خارجة عن المألوف، كما في قوله ــ تعالى ــ: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ "[٢] خلافاً للتركيب المألوف: (وجعلوا الجن شركاء لله)[٣]. من أجل ذلك ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنه «ليس بخاف أن لتقديم (الشركاء) حسنًا وروعة ومأخذًا من القلوب، أنت لا تجد شيئًا منه إن أنت أخَّرْتَ فقلت: (وجعلوا الجن شركاء لله)[٤]. ثم بين سبب ذلك فقال: «وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله ــ تعالى ــ وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجن ولا من غير الجن. وإذا أُخر فقيل: (جعلوا الجن شركاء لله) لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله ــ تعالى ــ فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير (الشركاء) دليل عليه»[٥]. وهذا الذي أشار إليه عبد القاهر هو نفسه الذي عناه ديبوجراند بقوله: «ويمكن لورود عنصر لغوي ما أن يخضع لاحتمالات مختلفة في النظم المختلفة بسبب الأغراض المختلفة

(١) النص والخطاب والإجراء؛ ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٠٠.
(٣) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، روبرت ديبوجراند ولفجانج دريسلر، ترجمة: إلهام أبوغزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م) ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٤) دلائل الإعجاز ١/ ٢٨٦ .
(٥) دلائل الإعجاز ١/ ٢٨٦ ،٢٨٧.

للاتصال؛ أي: يمكن أن يكون محتملا من الناحية النحوية ولكنه غير محتمل من الناحية الدلالية أو العكس»[١].

ب. إخلاف التوقع لدى المتلقي من مجاز وغيره، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

سالتْ عليه شِعابُ الحيِّ حينَ دَعَا ∴ أنصارُهُ بوجوهٍ كالدنانيرِ[٢]

إن الغريب هنا « ليس في مطلق معنى (سال)، ولكن في تعديته بعلى والباء، وبأن جعله فعلًا لقوله (شعاب الحي) ولولا هذه الأمور كلها لم يكن هذا الحسن. وهذا موضع يدقُّ الكلام فيه»[٣].

يقول الأستاذ سيد قطب ــ رحمه الله ــ عن سورة الرحمن: إنها" ذات نسق خاص ملحوظ. إنها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، وإعلام بآلاء الله الباهرة الظاهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه وفي فيض نعمائه وفي تدبيره للوجود وما فيه وتوجه الخلائق كلها إلى وجهه الكريم. وهي إشهاد عام للوجود كله على الثقلين: الإنس والجن المخاطبين بالسورة على السواء، في ساحة الوجود، على مشهد من كل موجود، مع تحديهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله، تحديا يتكرر عقب بيان كل نعمة من نعمه التي يعددها ويفصلها، ويجعل الكون كله معرضا لها، وساحة الآخرة كذلك.

ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها.. تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع من أخبار .

الرحمن.. كلمة واحدة. مبتدأ مفرد .. الرحمن كلمة واحدة في معناها الرحمة، وفي رنتها الإعلان، والسورة بعد ذلك بيان للمسات الرحمة ومعرض لآلاء الرحمن .

---

(١) النص والخطاب والإجراء ، مقدمة المترجم ؛ ص ٢٣ .

(٢) البيت من البسيط، وهو لـ (محرز بن المكعبر) في : حماسة الخالديَيْن؛ المؤلف: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (ت: نحو ٣٨٠هـ) ، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت: ٣٧١هـ) تح: الدكتور محمد علي دقة ــ وزارة الثقافة ــ الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥ م ـــ ص ٨٢ .

(٣) دلائل الإعجاز ١/ ٧٦ .

ويبدأ معرض الآلاء بتعليم القرآن بوصفه المنة الكبرى على الإنسان. تسبق في الذكر خلق الإنسان ذاته وتعليمه البيان.

ثم يذكر خلق الإنسان، ومنحه الصفة الإنسانية الكبرى.. البيان..ومن ثم يفتح صحائف الوجود الناطقة بآلاء الله.. الشمس والقمر والنجم والشجر والسماء المرفوعة. والميزان الموضوع. والأرض وما فيها من فاكهة ونخل وحب وريحان. والجن والإنس. والمشرقان والمغربان. والبحران بينهما برزخ لا يبغيان، وما يخرج منهما وما يجري فيهما.

فإذا تم عرض هذه الصحائف الكبار؛ عرض مشهد فنائها جميعا؛ مشهد الفناء المطلق للخلائق، في ظل الوجود المطلق لوجه الله الكريم الباقي الذي إليه تتوجه الخلائق جميعا، ليتصرف في أمرها بما يشاء...ومن ثم يعرض مشهد النهاية. مشهد القيامة. يعرض في صورة كونية. يرتسم فيها مشهد السماء حمراء سائلة، ومشهد العذاب للمجرمين، والثواب للمتقين في تطويل وتفصيل.

ثم يجيء الختام المناسب لمعرض الآلاء: «تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ».

إن السورة كلها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير. إعلان ينطلق من الملأ الأعلى، فتتجاوب به أرجاء الوجود. ويشهده كل من في الوجود وكل ما في الوجود " [1].

وهكذا تمتزج إعلامية الآيات البينات محل الدراسة مع إعلامية وإعلانية السورة؛ لتُعْلِمَ الجنَّ والإنس بهذا الغرض الواضح من أغراض السورة؛ ألا وهو أن الجزاء من جنس العمل، وأن العبد إذا أحسن أحسن الله إليه وزيادة .

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٤٤٣ ، وما بعدها .

الخاتمة ــ أسأل الله حسنها ــ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ــ ﷺ ــ وبعد ...

فقد انتهى الجنان من بعض ما فتح الله له تجاه هذا البحث الذي أدعو الله ــ تعالى ــ أن يكتب له القبول . وكان من أهم نتائجه ما يأتي:

ــ يُعَدُّ علم (نحو النص) علما شاملا، يطبق على النص من خلال معارف عديدة لغوية وغير لغوية .

ــ حدد البحث مفهوم المعايير السبعة (السبك، والحبك، والقصدية ــ والمقبولية ــ والتناص ــ والمقامية ــ والإعلامية) عند المحدثين ذاكرا ما ورد عند العرب من إشارات ونصوص حول هذه المعايير في تراثنا التليد؛ ثم تم إسقاطها على النص القرآني الجليل من سورة الرحمن؛ حتى تتسق النظرية مع التطبيق .

ــ القواعد والوسائل والأدوات التي وضعها النصيون لتحليل النصوص ليست نهائية؛ فقد تظهر في أثناء تحليل نص من النصوص أدواتٌ أخر ينتجها السياق ورؤية الباحث؛ مما يسهم في سبك النص وحبكه وانسجامه .

ــ القول بالانتقال إلى نحو النص وترك نحو الجملة قد يناسب اللغات غير العربية؛ إذ إن النحو العربي بحاله التليدة والجديدة علم يحمل في طياته عقيدة ودينا أساسه القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ فلا يمكن بحال من الأحوال أن نعامله كما نعامل الأنحاء في اللغات الأخرى ونصدر عليه الأحكام التي نصدرها على أنحائها من الاستغناء عنه أو عن بعض طرائقه؛ إذ إن هذه الطرائق استنبطت بها أحكام، وقامت عليها في الشريعة أبواب .

ــ النص القرآني نص معجز قابل لأن يُطبَّقَ عليه قواعد أي فرع من فروع اللغة قديما أو حديثا؛ طالما كانت هذه القواعد تدور في فلكِ علمٍ رصين جاد .

ــ مما رآه الجَنانُ في أثناء البحث أن استعمال ضمير العاقل راجعًا إلى الجِنان في قوله ــ تعالى ــ:" فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا

جَانٌّ" هو من قبيل المشاكلة القرآنية بين الجنات (غير العاقل) والحوريات (العاقل)؛ وفي هذا إشارة إلى رفع شأن أولئك الحوريات .

ــ ومما رآه الجَنان أيضًا أن قوله ــ سبحانه ــ: (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) تكرر مع الحور العين في الجنتين الأوليين والأدنى منهما؛ لأنه لا يصح أن تكون الحوريات في جنة من الجنات أقل من هذه الناحية ــ الطمث ــ من أخواتهن في جنة أخرى؛ إذ معنى" لَمْ يَطْمِثْهُنَّ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَفْتَضَّهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ. وَقِيلَ: لَمْ يَطَأْهُنَّ عَلَى أَيْ وَجْهٍ. كَانَ الْوَطْءُ مِنِ افْتِضَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ .

ــ التناصُّ بين آيات القرآن الكريم واضحٌ وضوحَ الشمس في ضحاها، ويحتاج إلى دراسات أخرى واسعة وشاملة، تبرز الفوائد اللغوية والبلاغية لهذه الظاهرة ــ إضافة إلى ما هو مُؤَلَّف .

أهم المصادر والمراجع

١ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) تح: محمد أبوالفضل إبراهيم ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ط:١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٢ــ أسرار ترتيب القرآن: السيوطي (ت:٩١١هـ) دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
٣ــ أسرار التكرار في القرآن (المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان): محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ) تح: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ــ دار الفضيلة .
٤ــ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي – تح: د/ عبد العال سالم مكرم ــ ط/ مؤسسة الرسالة – الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .
٥ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .
٦ــ إعجاز القرآن للباقلاني: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ) تح: السيد أحمد صقر ــ دار المعارف ــ مصر ــ ط: الخامسة، ١٩٩٧م .
٧ــ إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم ــ دار المنير ودار الفارابي – دمشق ــ ط: الأولى،١٤٢٥هـ.
٨ ــ إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ــ منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ ط: الأولى، ١٤٢١ هـ .
٩ــ إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت ــ ط : الرابعة١٤١٥هـ .

١٠ــ البحث النحوي عند الأصوليين،د/مصطفى جمال الدين،وزارة الثقافة والإعلام،العراق،(١٩٨٠م) .
١١ــ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) تح: صدقي محمد جميل ـــ دار الفكر – بيروت ـــ ط: ١٤٢٠ هـ .
١٢ــ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (٢٠٠٦ م) .
١٣ــ البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ـــ ط: الأولى ١٣٧٦ هـ ـــ – ١٩٥٧ م .
١٤ــ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ م .
١٥ــ التحليل اللغوي للنص ــ مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، (٢٠١٠م) .
١٦ــ التعريفات للجرجاني ــ ضبطه وصححه جماعة من العلماء ــ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
١٧ــ التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة .
١٨ــ تفسير القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ــ دار ومكتبة الهلال – بيروت ــ ط: الأولى – ١٤١٠ هـ .
١٩ــ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٢٠ــ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي ــ دار الفكر المعاصر – دمشق ــ ط : الثانية ، ١٤١٨ هـ .
٢١-الجدول في إعراب القرآن الكريم:محمود بن عبدالرحيم صافي(ت:١٣٧٦هـ) دار الرشيد، دمشق ــ مؤسسة الإيمان ــ بيروت ــ ط:الرابعة ١٤١٨ هـ.
٢٢ــ جمهرة اللغة:أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط: الأولى، ١٩٨٧م .
٢٣ــ الخصائص:أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ط: الرابعة .
٢٤ــ دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تح: محمود محمد شاكر ــ مطبعة المدني بالقاهرة-ار المدني بجدة ــ ط:الثالثة١٤١٣هـ١٩٩٢م .
٢٥ــ العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، د. سعد مصلوح، من مجموعة بحوث مهداة إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية، تحرير: وديعة طه نجم والدكتور عبده البدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب،(١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م).
٢٦ــ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، الطبعة الأولى، (١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م) .
٢٧ــ علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) للدكتور/ سعيد حسن بحيري؛ مكتبة لبنان ــ ناشرون ــ الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان .
٢٨ــ علم لغة النص، النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، (١٤٣٠ ه- ٢٠٠٩م).
٢٩ــ فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ــ ط: الأولى – ١٤١٤ ه .
٣٠ــ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م) .
٣١ــ في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) دار الشروق – بيروت- القاهرة ــ ط: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ .

٣٢ــ الكتاب: سيبويه (ت: ١٨٠هـ) تح: عبد السلام محمد هارون ـــ مكتبة الخانجي، القاهرة ــ ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٣٣ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت ــ ط: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
٣٤ــ كشاف اصطلاحات الفنون، محمد بن علي التهانوي(ت: في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة) دار صادر، بيروت، د.ت .
٣٥ــ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، (٢٠٠٦م) .
٣٦ــ مدخل إلى علم لغة النص، روبرت ديبوجراند ولفجانج دريسلر، ترجمة: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م) .
٣٧ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ــ ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٣٨ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) تح: د.مازن المبارك/ محمد حمد الله ــ دار الفكر– دمشق ــ ط: السادسة ١٩٨٥.
٣٩ــ نحو آجرومية للنص الشعري _ دراسة في قصيدة جاهلية د. سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني، أغسطس، (١٩٩١ م).
٤٠ــ نحو النصِّ نظرية وتطبيق سورة آل عمران أنموذجًا (أطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث/ رافد حميد سويدان خلف ــ إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ــ جامعة الأنبار ــ سنة ٢٠١١ م .
٤١ــ النحو والفكر والإبداع ــ دراسة في تفكيك النص وتوثيقه، د. ممدوح عبدالرحمن، دار المعرفة الجامعية، (١٩٩٨م) .
٤٢ــ النص والخطاب والإجراء، روبرت ديبوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الثانية، (٢٠٠٧م).
٤٣ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:البقاعي ــ ط:الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٩٦٣
المبحث الأول: مفهوم نحو النص وبعض القضايا العالقة به	٢٩٦٥
المطلب الأول: مفهوم نحو النص	٢٩٦٥
المطلب الثاني: من نحو الجملة إلى نحو النص	٢٩٧٠
المبحث الثاني: معايير نحو النص وأدواته مع آيات الدراسة	٢٩٧٦
المطلب الأول: معيار السبك وتطبيقه على الآيات البينات	٢٩٧٧
المطلب الثاني: معيار الحبك وتطبيقه على الآيات البينات	٢٩٩١
المطلب الثالث: معيار القصدية وتطبيقه على الآيات البينات	٣٠٠٠
المطلب الرابع: معيار المقبولية وتطبيقه على الآيات البينات	٣٠٠٢
المطلب الخامس: معيار التناصية وتطبيقه على الآيات البينات	٣٠٠٥
المطلب السادس: معيار المقامية وتطبيقه على الآيات البينات	٣٠٠٨
المطلب السابع: معيار الإعلامية وتطبيقه على الآيات البينات	٣٠٠٩
الخاتمة وأهم نتائج البحث	٣٠١٣
أهم المصادر والمراجع	٣٠١٥
فهرس المحتوى	٣٠١٩

والحمد لله رب العالمين